

٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

فوائد شهر جماد الأولى

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

الجزء الخامس

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ

ح خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر جمادى الأولى الجزءالخامس من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة
علي مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.ـ الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٣٨ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.ـ (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

رقم الإيداع : ١٩٩٨٧ / ١٤٤٥
ردمك : ٠-٠٣٠٧-٠٥-٦٠٣-٩٧٨



بسم الله الرحمن الرحيم



إهــداء

إلى زوجتي وأبنائي الأوفياء الذين كان لهم الفضل بعد الله عز وجل بتشجيعي ودعمي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويرضي الله عز وجل.





مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القاري الكريم الجزء الخامس من كتاب " ٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يَضمُّ فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما يَنفع ويُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ . تمَّ تقسيمُها على أيام السنة الهجرية بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كل يوم يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح؛ الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا، ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضله. وهذا الجزء مُخصَّصٌ لفوائد شهر جمادى الأولى، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة، وحُجَّة لكاتبه وقارئه وكلِّ مَن أعان على نشْره وتوزيعه.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه

أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن

drkhalid3@gmail.com

الرياض

شهر جمادى الأولى ١٤٤٥هـ



فهرس فوائد شهر جمادى الأولى



١ جمادى الأولى

الإيثار

الإيثار: معناه تفضيل الآخرين وتقديمهم، وهو أكمل أنواع الجود، وذلك بأن يُقدِّم الإنسان غيره على نفسه فيما هو في حاجةٍ إليه من أمور الدنيا من الأموال وغيرها، ويبذلها لغيره مع حاجته إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلَّا مِن خُلُقٍ زكي، ومحبةٍ لله تعالى مُقَدَّمَةٍ على محبَّة شهوات النفس ولذاتها، ويُقابله الأثرة؛ التي هي استبداد المرء بالفضل، واستحواذه عليه دون غيره.

والإيثار على النفس مع الحاجة قمةٌ عُليا، بلَغها الأنصارُ على صفة لم تشهد البشرية لها نظيرًا قبلهم، وإن بلغ بعضَها بعدهم مَن استنَّ بسُنَّتهم، فرضي الله عنهم وأرضاهم، حتَّى يُروى أنَّه لم ينزل مهاجرٌ في دار أنصاريٍّ إلَّا بقُرْعة.

يقول الله تعالى مُثنيًا على الأنصار- رضي الله عنهم-: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَصَابَنِي الْجَهْدُ، فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُ هَذَا اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ" فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا. قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فقَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ:" لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ ضَحِكَ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ" فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. رواه البخاري[(٢)].

---

(١) الحشر: ٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٤٨) برقم (٤٨٨٩) كتاب تفسير القرآن باب قوله "ويؤثرون على أنفسهم". الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

ومن إيثار النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ما رواه سهل بن سعد- رضي الله عنه- قال: جاءتْ امرأة ببردةٍ، قال: أتدرون ما البردة؟ فقيل له: نعم، هي الشَّملة منسوجٌ في حاشيتها. قال: فقالتْ: يا رسول الله؛ إنِّي نسجتُ هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُحتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنَّها إزاره، فقال رجُلٌ مِن القوم: يا رسول الله؛ اكسنيها. فقال: نعم. فجلس النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم في المجلس، ثمَّ رجع فطواها، ثمَّ أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنتَ، سألتَها إيَّاه، ولقد علمتَ أنَّه لا يردُّ سائلًا. فقال الرَّجُل: والله ما سألتُه إلَّا لتكون كفني يوم أموت. قال سهل: فكانتْ كفنَه. رواه البخاري(١).

وقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ- رضي الله عنه-: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدٌ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ. رواه البخاري(٢).

وفي صحيح البخاري أيضًا عَنْ أَبِي مُوسَى- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ؛ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ"(٣).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ- رضي الله عنهما- قَالَ: أُهْدِيَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَأْسُ شَاةٍ فَقَالَ: إِنَّ أَخِي فُلَانًا وَعِيَالَهُ أَحْوَجُ إِلَى هَذَا مِنَّا، قَالَ: فَبَعَثَه إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ بِهِ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٦١) برقم (٢٠٩٣) كتاب البيوع باب ذكر النساج.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٣١) برقم (٣٧٨٠) كتاب مناقب الأنصار باب إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين، والأنصار.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٨) برقم (٢٤٨٦) كتاب الشركة باب الشركة في الطعام والنهد والعروض. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٤٤) برقم (٢٥٠٠) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.



وَاحِدٌ إِلَى آخَرَ حَتَّى تَدَاوَلَتْهَا سَبْعَةُ أَبْيَاتٍ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى الأَوَّلِ، وَنَزَلَتْ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[١][٢].

وحدَّث حُذَيْفَةُ الْعَدَوِيُّ فقَالَ:" انْطَلَقْتُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ أَطْلُبُ ابْنَ عَمِّي، وَمَعِي شَنَّةٌ مِنْ مَاءٍ، فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ بِهِ رَمَقٌ سَقَيْتُهُ مِنَ الْمَاءِ، وَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ، فَإِذَا أَنَا بِهِ يَنْشَغُ، فَقُلْتُ: أَسْقِيكَ؟ فَأَشَارَ: أَيْ نَعَمْ، فَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: آهٍ، فَأَشَارَ ابْنُ عَمِّي أَنْ أَنْطَلِقَ بِهِ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ أَخُو عَمْرٍو، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَسْقِيكَ؟ فَأَشَارَ: أَيْ نَعَمْ، فَسَمِعَ آخَرَ فَقَالَ: آهٍ، فَأَشَارَ هِشَامٌ أَنْ أَنْطَلِقَ بِهِ إِلَيْهِ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ، فَرَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ، فَرَجَعْتُ إِلَى ابْنِ عَمِّي فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ"[٣].

أُسْـدٌ ولكـن يُـؤثرون بِـزَادِهِمْ   والأُسْدُ ليس تدينُ بِالإيثَارِ
يتزيَّنُ النَّادي بحُسْنِ وُجُوهِهِـم   كتزيُّنِ الهَالاتِ بِالأقمَـارِ

وقال الإمام ابن القيم- رحمه الله-: السَّخاء أعلى مراتب العطاء والبذْل، وهذه المراتب هي:
الأولى: ألَّا ينقصَه البذْلُ، ولا يصعبُ عليه العطاء، وهذه مرتبة السَّخاء.
الثانية: أن يُعطي الأكثرَ ويُبقي له شيئًا، أو يُبقي مثل ما أعطى، وهذا هو الجود.
الثالثة: أن يُؤثر غيره بالشيء مع حاجته إليه، وهذه مرتبة الإيثار[٤].

---

(١) الحشر: ٩.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٢٦) برقم (٣٧٩٩). المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ– ١٩٩٠م.

(٣) رواه ابن المبارك الزهد والرقائق (١/ ١٨٥) برقم (٥٢٥). الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ»)، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٧٨). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.



وقال أيضًا: والإيثار أن تُؤثر الخلق على نفسك فيما لا يحرم عليك دينًا، ولا يقطع عليك طريقًا، ولا يفسد عليك وقتًا[١]، ولا يُستطاع الإيثار إلَّا بثلاثة أشياء: تعظيم الحقوق، ومقْت الشُّحِّ، والرغبة في مكارم الأخلاق[٢].

ويقول ابن عمر- رضي الله عنه-: أتى علينا زمانٌ؛ وما يرى أحدٌ منَّا أنَّه أحقُّ بالدينار والدرهم من أخيه المسلم، وإنَّا في زمانٍ؛ الدينار والدرهم أحبُّ إلينا من أخينا المسلم[٣].

ومن أمثلة الإيثار المباح المستحَبِّ:

١- قول عباس بن دهقان: ما خرج أحدٌ من الدنيا كما دخلها إلَّا بشر بن الحارث، فإنَّه أتاه رجُلٌ في مرضه فشكا إليه الحاجة، فنزع قميصه وأعطاه إياه، واستعار ثوبًا فمات فيه[٤].

٢- وقال حماد بن أبي حنيفة: إنَّ مولاة كانت لداود الطائي تخدمه، قالتْ: لو طبختُ لك دسمًا تأكله؟ فقال: ودِدتُ. فطبختْ له دسمًا ثم أتتْه به، فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان؟ قالتْ: على حالهم. قال: اذهبي بهذا إليهم، فقالتْ: أنتَ لم تأكل أدمًا منذ كذا وكذا. فقال: إنَّ هذا إذا أكلوه صار إلى العرش، وإذا أكلتُه صار إلى الحُشِّ[٥].

٣- وعن أبي الحسن الأنطاكي: أنَّه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسًا، ولهم أرغفة معدودة لم تُشبع جميعَهم، فكسروا الأرغفة وأطفؤوا السراج وجلسوا للطعام، فلما رُفع فإذا الطعام بحاله، ولم يأكل أحدٌ منه شيئًا؛ إيثارًا لصاحبه على نفسه[٦].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٨٣).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٨٤).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٣٢) برقم (١٣٥٨٥). المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٢٥٨). إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في الجوع (ص: ١٧٩) برقم (٢٩٩). الجوع، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٦) ينظر: تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٩/ ٢٧٩). الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.



والخلاصة: ما قاله ابن تيمية- رحمه الله-: الإيثار مع الخصاصة أكمل من مجرد التَّصدُّق مع المحبَّة، فإنَّه ليس كلُّ متصدِّقٍ مُحِبًّا مُؤثِرًا، ولا كلُّ مُتصدِّقٍ يكون به خصاصة، بل قد يتصدَّق بما يُحبُّ مع اكتفائه ببعضه مع محبَّةٍ لا تبلغ به الخصاصة[١].

قال ابن القيم- رحمه الله-: فالمحِبُّ وصْفُه الإيثار، والمدَّعِي طبعُه الاستئثار[٢].

المــالُ للرَّجــلِ الكــريمِ ذرائــعُ   يبغي بهنَّ جلائلَ الأخطــارِ
والنَّـاسُ شـتَّى في الخِلَالِ وخـيرُهُمْ   مَن كـانَ ذا فضلٍ وذا إيثارِ[٣]

---

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية (٧/ ١٨٤).

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٢٧٧). روضة المحبين ونزهة المشتاقين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٣) موسوعة الأخلاق الإسلامية (١/ ١١٦). موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنتdorar.net .

٢ جمادى الأولى

الأمانة

الأمانة لغة: مصدر أمِن يأمَن أمانة؛ أي: صار أمينًا، والمصدر مأخوذ من مادَّة (أ م ن) التي تدلُّ على سكون القلب، ورجُلٌ أمنة: إذا كان يأمنه النَّاس ولا يخافون غائلته(١)، وقال الجوهريُّ: الأمنة الذي يُصدِّق بكلِّ شيء(٢).

واصطلاحًا: كلُّ ما افترض الله على العباد فهو أمانة؛ كالصلاة والزكاة، والصيام وأداء الدَّين، وأوكَدُها الودائع، وأوكَدُ الودائع كتْمُ الأسرار(٣)، وقيل: كلُّ ما يُؤتَمَن عليه من أموال وحُرُم وأسرار فهو أمانة(٤).

هذا وقد عُرِف النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالأمانة والصِّدق، حتَّى لُقِّب بالصادق الأمين، وكان أهل مكَّة في جاهليتهم إذا ذهب النبي صلى الله عليه وسلم أو جاء يَقولون: جاء الأمين، وذهب الأمين.

ويدلُّ على ذلك قصَّة وضْع الحجر الأسود في محلِّه بعد بناء الكعبة المشرَّفة، حيث تنازعوا في استِحقاق شرف رفْعه ووضْعِه، حتَّى كادوا يقتتلون لولا اتِّفاقهم على تحكيم أول مَن يدخل المسجد الحرام، فكان الداخل هو مُحمَّدًا صلى الله عليه وسلم، فلمَّا رأوه قالوا: هذا الأمين؛ رضينا، هذا مُحمَّدٌ، فلما أخبَروه الخبر، قال صلى الله عليه وسلم: "هلُمَّ إليَّ ثوبًا"، فأُتِي به، فأخذه فوضعه بيده ثم قال:" لِتأخذْ كلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ من الثوب، ثم ارفعوه جميعًا"، ففعلوا حتى إذا بلَغوا به موضعه، وضَعه هو بيده الشريفة ثم بُني عليه(٥).

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (١/ ١٣٤). معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) الذي وقفت عليه في الصحاح للجوهري (٥/ ٢٠٧١) قوله: "الأَمَنَةُ أيضًا: الذي يثق بكلِّ أحد". وما ذكر هنا نسبوه في نضرة النعيم (٣/ ٥٠٧) للجوهري بهذا اللفظ، والله أعلم. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، المؤلف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة.

(٣) الكليات (ص: ١٨٧). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، سنة النشر: بدون.

(٤) الكليات (ص: ١٧٦).

(٥) ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٩٧). السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.



كما حرص النبيُّ صلى الله عليه وسلم عند الهجرة على ردِّ الأمانات إلى أهلها؛ فعن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت: وأمَر- تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم- عليًّا- رضي الله عنه- أن يتخلَّف عنه بمكَّة؛ حتَّى يُؤدِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكَّة أحدٌ عنده شيءٌ يُخشى عليه إلَّا وضَعه عنده؛ لِما يعلم مِن صدْقه وأمانته، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقام عليٌّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- ثلاث ليالٍ وأيامها، حتَّى أدَّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لَحِق برسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

وفي فتح مكَّة أيضًا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ردِّ الأمانات إلى أهلها؛ فردَّ مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة؛ فعن ابن جريج في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾(٢)، قال: نزلتْ في عُثمان بن طلحة بن أبي طلحة، قَبض منه النبي صلى الله عليه وسلم مفتاحَ الكعبة، ودخلَ به البيت يوم الفتح، فخرج وهو يَتْلو هذه الآية، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح(٣).

وقد شهد بأمانة الرسول صلى الله عليه وسلم أعداؤه قبل أصدقائه وصحابته، فها هو أبو سفيان زعيم مكَّة قبل إسلامه يقف أمام هرقل ملك الروم، ويَعجِز عن نفْي صفة الأمانة عن النبي- صلى الله عليه وسلم-، رغم حرصه عندئذٍ أن يطعن فيه، ولكن ما إن سأله هرقل عمَّا يدعو إليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم، حتَّى أجاب أبو سفيان:" يأمر بالصلاة والصدْق، والعفاف والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة" رواه البخاري ومسلم(٤).

---

(١) ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٥).

(٢) النساء: ٥٨.

(٣) ينظر: أخبار مكة للأزرقي (١/ ٢٦٥). أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، المؤلف: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: ٢٥٠هـ)، المحقق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس للنشر – بيروت.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٤٥) برقم (٢٩٤٠) كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٩٣) برقم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام.

وعندما شكَّك بعض المنافقين تلميحًا بعدم أمانته صلى الله عليه وسلم قال:" ألا تأمَنُوني؟! وأنا أمينُ مَن في السَّماءِ، يأتيني خبرُ السَّماء صباحًا ومساءً" رواه البخاري(١).

والأمانة سبب البركة والنماء، وعكسها الخيانة سببٌ في انعدام البركة؛ فقد أخرج البخاريُّ ومسلمٌ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" البيِّعانِ بالخِيارِ ما لم يتفرَّقا، فإنْ صَدَقَا وبيَّنا بُورِكَ لهما في بيعهما، وإنْ كتَما وكذَبا مُحِقتْ بركةُ بيعهما"(٢).

لذا إذا ذهبت الأمانة وكانت الخيانة فقد ذهَبت البركة؛ فقد أخرج أبو داود أنَّ النبيَّ- صلى الله عليه وسلم- قال: قال الله تعالى:" أنا ثالثُ الشريكين ما لم يخنْ أحدُهما صاحبَه، فإذا خانَه خرجتُ من بينهما"(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَحكي لأصحابه- رضي الله عنهم-:" اشترى رجُلٌ من رجلٍ عقارًا له، فوجد الذي اشترى العقارَ في عقارِهِ جرَّةً فيها ذهبٌ، فقال له الذي اشترى العقارَ: خُذْ ذهبك منِّي، إنَّما اشتريتُ منك الأرض، ولم أبتعْ منك الذهب، فقال الذي شرى الأرضَ (أي الذي باعها): إنَّما بعتُك الأرضَ وما فيها، قال: فتحاكما إلى رجُلٍ، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولدٌ؟ فقال أحدُهما: لي غلامٌ، وقال الآخر: لي جاريةٌ، قال: أنكِحوا الغلامَ الجاريةَ، وأنفقوا على أنفسكما منه، وتصدَّقا" رواه البخاري(٤).

وبأمانة التُّجَّار المسلمين وصِدقهم دخَل الناس في دِين الله أفواجًا، فأثَرُ التُّجَّار الأمناء الصادقين في انتشار الإسلام لا يقلُّ عن أثَر الجيوش في الفتوحات الإسلاميَّة، بل إنَّه فاقَ أثَر هذه الجيوش،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٦٣) برقم (٤٣٥١) كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وخالد بن الوليد رضي الله عنه، إلى اليمن قبل حجة الوداع. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٢) برقم (١٠٦٤) كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٨) برقم (٢٠٧٩) كتاب البيوع باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا. ومسلم في صحيحه (٣/ ١١٦٤) برقم (١٥٣٢) كتاب البيوع باب الصدق في البيع والبيان.

(٣) رواه أبو داود في سننه (٣/ ٢٥٦) برقم (٣٣٨٣) كتاب البيوع باب في الشركة. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٧/ ٣٨٣). سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب : برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٤) برقم (٣٤٧٢) كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٥) برقم (١٧٢١) كتاب الأقضية باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين.



ووصَل إلى مناطق لم تدخُلها جيوش المسلمين، وإنَّما دخَلها التُّجَّار المسلمون بأمانتهم؛ كمناطق جنوب شرق آسيا، وغرب إفريقيا ووسطها.

ومن الأمانة أيضًا التكاليفُ الشرعية، التي هي حقوقُ الله وحقوق العباد، فمن أدَّاها فله الثواب، ومن ضيَّعها فعليه العقاب، فقد روى أحمد عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- أنه قال: الصلاةُ أمانة، والوضوءُ أمانة، والوزن أمانةٌ، والكيل أمانة، وأشياء عدَّدها، وأشدُّ ذلك الودائع(١).

وقال أبو الدرداء- رضي الله عنه-: والغُسْلُ من الجنابة أمانة(٢).

وكان عبد اللَّه بن عمر- رضي الله عنهما- يقول للرجل إذا أراد سفرًا: ادنُ منِّي أودِّعْك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُودِّعنا:" أستودعُ اللَّه دينَك وأمانتَك وخواتيمَ عملك" رواه الترمذي وأبو داود(٣).

---

(١) رواه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٥٨) برقم (٢٧١٦). والأثر حسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٣٣). الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، المؤلف: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ صحيح الترغيب والترهيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) رواه بهذا المعنى محمد بن نصر المروزي في مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر (ص: ٢٧٢). مختصر [قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر]، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقريزي، الناشر: حديث أكادمي، فيصل اباد – باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٨/ ١١٩) برقم (٤٥٢٤). وأبو داود في سننه (٣/ ٤٣) برقم (٢٦٠٠) كتاب الجهاد باب في الدعاء عند الوداع. والترمذي في جامعه (٥/ ٤٩٩) برقم (٣٤٤٢) أبواب الدعوات باب ما يقول إذا ودع إنسانًا. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٩٠) (بدون رقم) كتاب عمل اليوم والليلة ذكر الاختلاف على عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز في هذا الحديث. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٦/ ١٠٠). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.



ومَـا حُمِّـل الإنسـانُ مثـلَ أمانـةٍ ... أشقَّ عليه حين يحملُها حملا عليها
فإن أنتَ حُمِّلتَ الأمَانَةَ فاصطبرْ ... فقـد حُمِّلـتَ مِـن أمرِهـا ثقـلا
ولا تقبلنَّ فيمـا رضـيتَ نميمة ... وقُلْ للذي يأتيك يحملُها: مهـلا[١]

أما الخيانة فآية المنافق، ودليل نفاقه وعصيانه، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذبَ، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان" متفق عليه[٢].

والخلاصة: أن الأمانة واجبة مع الجميع، فلا تجوز الخيانة حتَّى مع الخائنين، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣]، وقد أمَرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بأداء الأمانة وعدم خيانة الخائنين؛ فقَالَ صلى الله عليه وسلم:" أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ" رواه أبو داود[٤].

وقال ميمون بن مهران: ثلاثةٌ يُؤَدَّينَ إلى البَرِّ والفاجر: الأمانة، والعهد، وصلة الرحم[٥].

وعن عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- قال: لا تَغُرُّني صلاةُ امرئٍ ولا صومُه، مَن شاء صام ومَن شاء صلَّى، لا دِينَ لمن لا أمانة له[٦].

أدِّ الأمَانَةَ، والخيانةَ فاجْتَنِبْ ... واعْدِلْ ولا تظلمْ؛ يَطِبْ لك مكسبُ[٧]

---

(١) ينظر: لباب الآداب لأسامة بن منقذ (١/ ٢٥٠). لباب الآداب، المؤلف: أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (المتوفى: ٥٨٤هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٣) كتاب الإيمان باب علامة المنافق. ومسلم في صحيحه (١/ ٧٨) برقم (٥٩) كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق.

(٣) الأنفال: ٢٧.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ١٥٠) برقم (١٥٤٢٤). وأبو داود في سننه (٣/ ٢٩٠) برقم (٣٥٣٤) أبواب الإجارة باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده. والترمذي في جامعه (٣/ ٥٥٦) برقم (١٢٦٤) أبواب البيوع باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٥/ ٣٨١). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

(٥) رواه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٧٢) برقم (٢٦٠١) بلفظ: "ثلاث يؤدين إلى البر والفاجر: العهد تفي به إلى البر والفاجر، والرحم تصلها برة كانت أو فاجرة، والأمانة تؤديها إلى البر والفاجر". سنن سعيد بن منصور، المؤلف: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: الدار السلفية – الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٢م.

(٦) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص: ٦٩) برقم (١٦٢). مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، المؤلف: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٧) القصيدة الزينبية (ضمن مجموعة القصائد الزهدية) (٢/ ٤٨١). مجموعة القصائد الزهديات، المؤلف: أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (ت ١٤٢٢هـ)، الناشر: مطابع الخالد للأوفسيت – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.



٣ جمادى الأولى

البشاشة

البَشَاشَة هي: طلاقة الوجه مع الفرح والتَّبسُّم، وحُسن الإقبال، واللُّطف في المسألة، وقد وردت أحاديث عديدة من السُّنَّة النَّبويَّة؛ تحثُّ على البَشَاشَة وطلاقة الوجه، منها:

١- عن أبي ذرٍّ- رضي الله عنه- قال: قال لي النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم:" لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق" رواه مسلم(١).

هذا وقد رُوي لفظ (طَلْق) على ثلاثة أوجه: إسكان اللام، وكسرها، وطليق بزيادة ياء، ومعناه: سهلٌ مُنبسطٌ. وفيه الحثُّ على فضل المعروف، وما تيسَّر منه وإن قلَّ، حتَّى طلاقة الوجه عند اللِّقاء.

٢- عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" كلُّ معروف صدقة، وإنَّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجهٍ طَلْق" رواه الترمذي(٢).

قال المباركفوري: طَلْق معناه: تلقاه مُنبسطَ الوجه مُتهلِّلَه(٣).

وقيل: أي بوجهٍ ضاحكٍ مُستبشرٍ، وذلك لما فيه من إيناس الأخ المؤمن، ودفع الإيحاش عنه، وجبر خاطره، وبذلك يحصل التَّأليف المطلوب بين المؤمنين.

٣- عن أبي ذرٍّ- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرُك بالمعروف ونهيُك عن المنكر صدقة، وإرشادُك الرَّجُلَ في أرض الضَّلال لك صدقة، وبصرُك للرَّجُل الرَّديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشَّوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة" رواه الترمذي(٤).

قال ابن عيينة: والبَشَاشَة مصيدة المودَّة، والبِرُّ شيءٌ هيِّنٌ: وجهٌ طليقٌ، وكلامٌ ليِّنٌ. وفيه رَدٌّ على العالِمِ الذي يُصَعِّرُ خدَّه للناس، كأنَّه مُعرِضٌ عنهم، وعلى العابد الذي يُعبِّس وجهَه ويُقطِّب جبينَه،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٦) برقم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٤٧) برقم (١٩٧٠) كتاب البر والصلة باب ما جاء في طلاقة الوجه وحسن البشر. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ٤٧٠). صحيح وضعيف سنن الترمذي، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب : برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٣) تحفة الأحوذي (٦/ ٩٠). تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٣٩) برقم (١٩٥٦) كتاب البر والصلة باب ما جاء في صنائع المعروف. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ٤٥٦).

كأنَّه منزَّهٌ عن النَّاس، مُستقذِرٌ لهم، أو غضبان عليهم. قال الغزالي: ولا يعلم المسكينُ أنَّ الورع ليس في الجبهة حتى يُقَطَّب، ولا في الوجه حتى يُعَفَّر، ولا في الخدِّ حتى يُصَعَّر، ولا في الظَّهر حتى ينحني، ولا في الذَّيل حتى يُضَمَّ، إنَّما الورع في القلب(١).

ومن آداب المضيف: أن يخدم أضيافه، ويُظهِر لهم الغِنى، والبسط بوجهه، فقد قيل: البَشَاشَة خيرٌ من القِرَى. وقد ضمَّن شمس الدِّين البديوي هذا المعنى بأبيات، فقال:

إذا المرءُ وافى منزلًا منك قاصدًا ... قِرَاكَ وأرمَتْهُ لديكَ المسالِكُ وقُلْ:

فكُنْ باسمًا في وجْهه مُتهلِّلًا ... مرحبًا أهلًا ويومٌ مُبارَكُ

وقدِّمْ له ما تستطيعُ مِنَ القِرَى ... عجولًا ولا تبخلْ بما هو هالِكُ

فقد قيلَ بيتٌ سالفٌ مُتقدِّمٌ ... تداولَهُ زيدٌ وعمرو ومَالِكُ

بَشَاشَةُ وجْهِ المرءِ خيرٌ من القِرَى ... فكيفَ بمَن يَأتي به وهو ضاحِكُ(٢)

ومن بَشَاشَة النبي صلى الله عليه وسلم عند مقابلته للناس؛ ما رواه عبد الله بن الحارث- رضي الله عنه- حين قال:" مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم" رواه الترمذي(٣).

وعن جرير بن عبد الله البجلي- رضي الله عنه- قال:" ما حجبَني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منذُ أسلمتُ، ولا رآني إلَّا تبسَّمَ في وجهي" رواه البخاري ومسلم(٤).

وقال صلى الله عليه وسلم:" إنَّكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فلْيسعْهم منكم بسْطُ الوجه وحُسْنُ الخُلُق" رواه مسلم(٥).

---

(١) ينظر: بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (٣/ ٢٥٤). بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، المؤلف: محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمى الحنفي (المتوفى: ١١٥٦هـ)، الناشر: مطبعة الحلبي، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٤٨هـ.

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب (٣/ ١٤٨). مجاني الأدب في حدائق العرب، المؤلف: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (المتوفى: ١٣٤٦هـ)، الناشر: مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، عام النشر: ١٩١٣ م.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٩/ ٢٥٢) برقم (١٧٧١٣). والترمذي في جامعه (٥/ ٦٠١) برقم (٣٦٤١) أبواب المناقب باب في بشاشة النبي صلى الله عليه وسلم. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ١٤١).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٦٥) برقم (٣٠٣٥) كتاب الجهاد والسير باب من لا يثبت على الخيل. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٢٥) برقم (٢٤٧٥) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٥) لم أقف عليه في مسلم، وإنما رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٤٦١) برقم (٥٣٦). والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٢/ ٩٥). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.



وكان ذلك حاله صلى الله عليه وسلم دائمًا حتى مع الجفاة الشداد، فذاك رجُلٌ أعرابيٌّ يأتي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فيجبذه بردائه جبذة شديدة تُؤثِّر في عاتقه، ثم يقول له في غلظة: يا محمد؛ مُرْ لي مِن مال الله الذي عندك، وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يُقابل هذه الغلظة والجفاء ببشاشة وجهٍ، ورحابة صدرٍ، ثم يأمر له بعطاء. رواه البخاري ومسلم(١).

وإذا كان نبيُّ الله سليمان عليه السلام قد تبسَّم لنملةٍ في وادٍ مُترامي الأطراف؛ عندما سمعها تُحذِّر قومها مِن جيشه كما قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٢)، فما أحوجَنا إلى تبسُّم الأخ في وجه أخيه، والجار في وجه جاره، والرجل في وجه زوجته والمرأة في وجه زوجها، والمديرِ في وجه موظَّفيه، في زمن طغت فيه المادة، وقلَّت فيه الألفة، وكثرت فيه الصراعات، والمشاكل الاجتماعية.

فلا ترى إلَّا عُبوس الوجه، وتقطيب الجبين، وكأنَّك في حلبة صراعٍ من أجل البقاء.

أزورُ خليــلِي مَــا بَـدَا لي هشُّــه ... وقَابـلني منـه البَشَاشَـةُ والبِشـرُ ولـو
فـإن لم يكـن هـشٌ وبـشٌ تركتُـه ... كــان في اللُقيــا الولايــةُ والبِشــرُ
وحــقُّ الذي ينتــابُ داري زائرًا ... طعــــامٌ وبِرٌ وقــد تَقَدَّمَــهُ بِشرُ(٣)

وها نحن ننقل قصَّة عن دور الابتسامة في التسويق والبيع؛ بينما تجهُّم الوجه وعبوسه يُؤدِّي إلى تقلُّص المبيعات، ونفور الزبائن والمتسوِّقين.

إذ طلب عُمَّال أحد المحلَّات التجارية الكبيرة في باريس رفْع أجورهم، فرفض ذلك صاحب العمل وأصرَّ على ذلك، فما كان من عُمَّاله إلَّا أن اتَّفقوا على أن لا يتبسموا للزبائن كردٍّ على صاحب المحلِّ، ممَّا أدَّى ذلك إلى انخفاض دخْل المحلِّ في الأسبوع الأول حوالي ٦٠% عن متوسط

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٩٤) برقم (٣١٤٩) كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٣٠) برقم (١٠٥٧) كتاب الزكاة باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة.

(٢) النمل: ١٩.

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ٥٤، بترقيم الشاملة آليا). بهجة المجالس وأنس المجالس، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ).



دخْله في الأسابيع السابقة. لذا يقول الصينيون في حكمةٍ يُردِّدونها:" إنَّ الرجل الذي لا يعرف كيف يبتسم؛ لا ينبغي له أن يفتح متجرًا".

بل تقوم كثيرٌ من الدول المتقدِّمة والشركات العالمية بإنفاق ملايين الدولارات؛ من أجل تدريب موظَّفيها على الابتسامة في وجه الزبائن والعملاء، وهم بذلك يرجون ثواب الدنيا، فكيف بالمسلم عندما يتخلَّق بهذا الخلق فيجمع بين ثواب الدنيا والآخرة؟!

والخلاصة: قول ابن القيِّم- رحمه الله-: طلاقة الوجه والبِشْر المحمود؛ وسط بين التَّعبيس والتَّقطيب، وتصعير الخدِّ، وطيِّ البِشْر عن البَشَر، وبين الاسترسال مع كلِّ أحد، بحيث يُذهب الهيبة، ويُزيل الوقار، ويُطمع في الجانب، كما أنَّ الانحراف الأوَّل يُوقِع الوحشة والبغضة، والنُّفرة في قلوب الخَلْق، وصاحب الخُلُق الوسط: مهيبٌ محبوبٌ، عزيزٌ جانبُه، حبيبٌ لقاؤه. وفي صفة نبيِّنا صلى الله عليه وسلم: مَن رآه بديهةً هابه، ومَن خالطه عِشْرَةً أحبَّه(١).

وقال عبد الله بن المبارك: حُسْن الخُلُق: طلاقة الوجه، وبذْل المعروف، وكفُّ الأذى(٢).

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: مكتوبٌ في الحكمة: لِيكنْ وجهُك بسطًا، وكلمتك طيبة؛ تكن أحبَّ إلى النَّاس مِن الذي يُعطيهم العطاء(٣).

وقال معاذ بن جبل- رضي الله عنه-: إنَّ المسلمَيْنِ إذا التقيا؛ فضحك كلُّ واحدٍ منهما في وجه صاحبه، ثم أخذ بيده، تَحَاتَّتْ ذنوبُهما كتحاتِّ ورق الشجر(٤).

قالَ: البَشَاشَةُ ليسَ تُسعِدُ كائنًا ... يأتي إلى الدُّنيا ويَذهبُ مُرغمًا
قلتُ: ابتسمْ ما دامَ بينك والرَّدَى ... شِبرٌ، فإنَّك بعدُ لن تتبسَّما(٥)

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٩٦). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٦٣) برقم (٢٠٠٥) أبواب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق.

(٣) رواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/ ٢٣١). الفقيه والمتفقه، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ.

(٤) ينظر: التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٢٨) برقم (٥٥٧). التذكرة الحمدونية، المؤلف: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.

(٥)لا تحزن (ص: ٨٥). لا تحزن، المؤلف: عائض بن عبد الله القرني، الناشر: مكتبة العبيكان.



٤ جمادى الأولى

الأناة

التَّأَنِّي والأناة أي: التَّثبُّت وترْك العَجَلَة، وقال أبو هلال العسكريُّ: الأناة: هي المبالغة في الرِّفق بالأمور والتَّسبُّب إليها، وفرَّق بين الأناة والحلم بأنَّ الأناة هي: التَّمهُّل في تدبير الأمور، وترْك التَّعجُّل. والحِلْم: هو الإمهال بتأخير العقاب المستحَقِّ(١).

وقال العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله-: الأناة: التَّأنِّي في الأمور وعدم التَّسرُّع، وما أكثر ما يهلك الإنسان ويزلُّ بسبب التَّعجُّل في الأمور، سواء في نقل الأخبار، أم في الحكم على ما سمع، أم في غير ذلك. فمِن النَّاس مثلًا مَن يتخطَّف الأخبار؛ فبمجرِّد ما يسمع الخبر يُحدِّث به وينقله، ومِن النَّاس مَن يتسرَّع في الحكم، سمع عن شخصٍ ما شيئًا مِن الأشياء، ويتأكَّد أنَّه قاله، أو أنَّه فعله ثمَّ يتسرَّع في الحكم عليه أنَّه أخطأ أو ضلَّ أو ما أشبه ذلك، وهذا غلط، فالتَّأنِّي في الأمور كلُّه خيرٌ(٢).

لَا تَعجلنَّ فرُبَّما ... عَجِلَ الفتَى فيما يضرُّه
ولرُبَّما كرِه الفتَى ... أمرًا عواقبُه تَسرُّه(٣)

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(٤).

---

(١) ذكره في موضعين متفرقين: الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٠٠؛ ٢٠٤). الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٧٧). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.

(٣) الفرج بعد الشدة للتنوخي (٥/ ٢٢). الفرج بعد الشدة للتنوخي، المؤلف: المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي (المتوفى: ٣٨٤هـ)، تحقيق: عبود الشالجى، الناشر: دار صادر، بيروت، عام النشر: ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

(٤) النِّساء: ٩٤.

قال الطبري: فتبيَّنوا، يقول: فتأنَّوا في قتْل مَن أشكل عليكم أمرُه، فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره، ولا تعجلوا فتقتلوا مَن الْتَبَس عليكم أمرُه، ولا تتقدَّموا على قتل أحدٍ إلَّا على قتل مَن علمتموه يقينًا حرْبًا لكم ولله ولرسوله صلى الله عليه وسلم(١).

وقال سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾(٢).

قال ابن عطيَّة: هذا الفعل مِن يوسف- عليه السَّلام- أناةً وصبرًا وطلبًا لبراءة السَّاحة، وذلك أنَّه- فيما رُوِي- خشي أن يخرج وينال مِن الملك مرتبة، ويسكت عن أمر ذنبه صفحًا، فيراه النَّاس بتلك العين أبدًا، ويقولون: هذا الذي راوَدَ امرأة مولاه، فأراد يوسف عليه السَّلام أن تَبِينَ براءتُه، وتتحقَّقَ منزلتُه مِن العفَّة والخير(٣).

وقال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾(٤).خلقها الله تعالى في ستَّة أيام - والله أعلم- لحكمٍ عظيمةٍ بالغةٍ؛ منها أن يُعلِّم عباده التُّؤدة والتَّأنِّي، وأنَّ الأهمَّ إحكام الشَّيء لا الفراغ منه، حتى يتأنَّ الإنسان فيما يصنعه، فعلَّم الله سبحانه وتعالى عباده التَّأنِّي في الأمور التي هم قادرون عليها.

وقال عزَّ مِن قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾(٥).

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان (٧/ ٣٥١). تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

(٢) يوسف: ٥٠.

(٣) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٢٥٢). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

(٤) الحديد: ٤.

(٥) الحجرات: ٦.



قرأ الجمهور:" فتبيَّنوا" مِن التَّبيُّن، وقرأ حمزة والكسائي:" فتثبَّتوا" مِن التَّثبُّت، والمراد مِن التَّبيُّن: التَّعرُّف والتَّفحُّص، ومِن التَّثبُّت: الأناة وعدم العَجَلَة، والتَّبصُّر في الأمر الواقع، والخبر الوارد حتى يتَّضح ويظهر(١).

وعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأشجِّ- أشجِّ عبد القيس-:"إنَّ فيك خصلتين يحبُّهما الله: الحِلْم، والأناة" رواه مسلم(٢).

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:"التَّأنِّي مِن الله، والعَجَلة مِن الشَّيطان" رواه البيهقي(٣).

قال ابن القيِّم- رحمه الله-: العَجَلَة مِن الشَّيطان فإنَّها خفَّةٌ وطيشٌ وحدَّةٌ في العبد تمنعه مِن التَّثبُّت والوقار والحِلْم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعًا من الشُّرور، وتمنع عنه أنواعًا من الخير(٤).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لو لبثتُ في السِّجن ما لبث يوسف لأجبتُ الدَّاعي" رواه البخاري ومسلم(٥).

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٧١). فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٨) برقم (١٧) كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه.

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٧٨) برقم (٢٠٢٧٠) كتاب آداب القاضي باب التثبت في الحكم. والحديث حسن إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٤٠٤). السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، جـ ٦: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٤) الروح (ص: ٢٥٨). الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، سنة النشر: بدون.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٧٧) برقم (٤٦٩٤) كتاب تفسير القرآن باب قوله: ﴿فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله﴾ [يوسف: ٥١]. ومسلم في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (١٥١) كتاب الإيمان باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة.



وعن أمِّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالتْ: لما أُمِر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال:" إنِّي ذاكرٌ لكِ أمرًا، فلا عليكِ أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويكِ" رواه البخاري ومسلم(١).

قال ابن حجر: قوله:" فلا عليكِ أن لا تعجلي" أي: فلا بأس عليكِ في التَّأنِّي، وعدم العَجَلَة حتى تشاوري أبويكِ"(٢).

والتَّأنِّي مطلوبٌ في كثير من الأحوال والمواقف التي تمرُّ على الإنسان، ومِن هذه الأحوال التي يتطلَّب فيها التَّأنِّي:

١- عند الذهاب إلى الصَّلاة: فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:"إذا سمعتم الإقامة، فامشوا إلى الصَّلاة وعليكم بالسَّكينة والوقار، ولا تُسرعوا، فما أدركتم فصلُّوا، وما فاتكم فأتمُّوا" رواه البخاري(٣).

٢- التَّأنِّي في طلب العلم: قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾(٤). قال ابن القيِّم- رحمه الله- في هذه الآية: مِن آداب الرَّبِّ التي أدَّب بها نبيَّه- صلى الله عليه وسلم- أَمْرُه بترْك الاستعجال على تلقِّي الوحي، بل يصبر إلى أن يفرغ جبريل مِن قراءته، ثمَّ يقرأه بعد فراغه عليه، فهكذا ينبغي لطالب العلم ولسامعه أن يصبر على معلِّمه حتى يقضي كلامه(٥).

٣- التَّأنِّي في التَّحدُّث مع الآخرين: عن أمِّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت:" إنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يُحدِّث حديثًا لو عدَّه العادُّ لأحصاه" رواه البخاري ومسلم(٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١١٧) برقم (٤٧٨٥) كتاب تفسير القرآن باب قوله: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا﴾ [الأحزاب: ٢٨]. ومسلم في صحيحه (٢/ ١١٠٣) برقم (١٤٧٥) كتاب الطلاق باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلا بالنية.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٢١). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٩) برقم (٦٣٦) كتاب الأذان باب لا يسعى إلى الصلاة، وليأت بالسكينة والوقار.

(٤) القيامة: ١٦.

(٥) التبيان في أقسام القرآن (ص: ١٥٩). التبيان في أقسام القرآن، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩٠) برقم (٣٥٦٧) كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩٨) برقم (٢٤٩٣) كتاب الزهد والرقائق باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم.



٤- عند الفصل في المنازعات وإنزال العقوبات: ففي قصَّة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- في قضائه بين علي بن أبي طالب والعبَّاس- رضي الله عنهما- في فيء الرَّسول صلى الله عليه وسلم مِن بني النَّضير؛ قال لهما عمر- رضي الله عنه-: اتَّئِدوا[١]. قال ابن حجر: المراد: التَّأنِّي والرَّزانة[٢].

والخلاصة: أنَّ التأني مِن الله عزَّ وجلَّ، ويُحبُّه الله سبحانه وتعالى، والتَّأنِّي خيرٌ في الأمور كلِّها إلَّا في أمور الآخرة. وعن سعد بن أبي وقَّاص- رضي الله عنه- أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" التُّؤدة في كلِّ شيءٍ إلَّا في عمل الآخرة" رواه أبو داود[٣].

قال إبراهيم بن أدهم- رحمه الله-: ذكروا الأناة في الأشياء كلِّها، فقال الأحنف: أمَّا أنا فإذا حضرتْ جنازة لم أتأنَّ، وإذا وجدتُ كفؤًا زوَّجتُ ولم أتأنَّ، وإذا حضرت الصَّلاة لم أتأنَّ[٤].

قد يُدركُ المتأنِّي بعضَ حاجتِه ... وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزَّللُ
وربَّما فاتَ قومًا بعضُ أمرِهمُ ... مِنَ التَّأنِّي وكان الحزمُ لو عجلُوا[٥]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٨٩) برقم (٤٠٣٣) كتاب المغازي باب حديث بني النضير ومخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في دية الرجلين، وما أرادوا من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٩١).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٥٥) برقم (٤٨١٠) كتاب الأدب باب في الرفق. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣١٠).

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٤٥٩) برقم (٨٨٣١). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٥) أحسن ما سمعت (ص: ٨٧). أحسن ما سمعت، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.



٥ جمادى الأولى

الألفة

الأُلْفَة من قولهم: أَلِفتُه إلِفًا أي أَنِسْتُ به، ولزمتُه وأحببتُه، وهو من الائتلاف، وهو الالتئام والاجتماع[١]، وأَلَّفْتُ بينهم تأْلِيفًا إذا جَمَعْتُ بينَهم بعد تَفَرُّقٍ.

وقال الراغب الأصفهاني: الإِلْفُ هو اجتماعٌ مع التئامٍ[٢].

وقيل: الألفة هي اتِّفاق الآراء في المعاونة على تدبير المعاش[٣].

قال الله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤] .

قال السعدي: "وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ" أي اجتمعوا وائتلفوا، وازدادت قوَّتهم بسبب اجتماعهم، ولم يكن هذا بسعي أحدٍ، ولا بقوَّةٍ غير قوَّة الله، فلو أنفقتَ ما في الأرض جميعًا مِن ذهبٍ وفضَّةٍ وغيرهما لتأليفهم بعد تلك النُّفرة والفُرقة الشَّديدة؛ "مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ" لأنَّه لا يقدر على تقليب القلوب إلَّا الله تعالى، "وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" ومِن عزَّته أن ألَّف بين قلوبهم، وجمعها بعد الفرقة[٥].

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم- رضي الله عنه- قال: لـمَّا أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في النَّاس في المؤلَّفة قلوبهم، ولم يُعطِ الأنصار شيئًا، فكأنَّهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب النَّاس، فخطبهم فقال: يا معشر الأنصار؛ ألم أجدكم ضُلَّالًا فهداكم الله بي، وكنتم مُتفرِّقين فألَّفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي؟ ... إلى آخر الحديث. رواه البخاري ومسلم[٦].

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ١٨). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨١). المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.

(٣) التعريفات (ص: ٣٤). كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٤) الأنفال: ٦٣.

(٥) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٢٥). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٥٧) برقم (٤٣٣٠) كتاب المغازي باب غزوة الطائف. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٣٧) برقم (١٠٦١) كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه.



فهذه النعمة مِن أكبر نعم الله في بعثة رسول الله ﷺ؛ أن ألَّف به بين قومٍ قويت بينهم العصبيَّات، وينبغي أن يكون شأن المسلم هكذا، يُؤلِّف بين المتفرِّقين ويأتلف حوله المحبُّون.

رُوي عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله ﷺ قال:" المؤمن يأْلَف ويُؤْلَف، ولا خيرَ فيمن لا يأْلَف ولا يُؤْلَف" رواه أحمد(١).

قال المناوي في شرح قوله ﷺ: "المؤمن يأْلَف" قال: لِحُسْنِ أخلاقه وسهولة طباعه ولين جانبه. وفي رواية: "إلْفٌ مَأْلُوفٌ" والإلْف هو اللَّازم للشَّيء، فالمؤمن يأْلَف الخير وأهله، ويألفونه بمناسبة الإيمان، قال الطِّيبي: وقوله "المؤمن إلْفٌ" يحتمل كونه مصدرًا على سبيل المبالغة، كرجل عدْل، أو اسم كان أي: يكون مكان الأُلْفَة ومنتهاها، ومنه إنشاؤها وإليه مرجعها، "ولا خير فيمَن لا يأْلَف ولا يُؤْلَف" لضعف إيمانه، وعُسْر أخلاقه، وسوء طباعه(٢).

وعن عوف بن مالك- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" خيارُ أئمتِكم الذين تُحبُّونهم ويُحبُّونكم، ويُصلُّون عليكم، وتُصلُّون عليهم، وشرارُ أئمتِكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم" رواه مسلم(٣).

إنَّ خيار النَّاس في نظر الشَّرع هم الذين يأْلَفون ويُؤْلَفون، وخاصَّة حين يكونون في منصبٍ أو مسؤوليَّةٍ، إذ قد ينزلقون إلى صورٍ مِن الغلظة والجفوة حين يكونون مطلوبين لا طالبين.

الأُلْفَة سببٌ للاعتصام بالله وبحبله، وبه يحصل الإجماع بين المسلمين، وبضِدِّه تحصل النُّفْرة بينهم، وإنَّما تحصل الأُلْفَة بتوفيقٍ إلٰهي، ومِن التَّآلف: ترْك المداعاة والاعتذار عند توهُّم شيءٍ في النَّفس، وتَرْك الجدال والمراء وكثرة المزاح.

ومن الأسباب المؤدِّية للألفة:-

١- التَّعارُف ومُعاشرة الناس: قال رسول الله ﷺ:" الأرواح جنودٌ مُجنَّدة، ما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكرَ منها اختلفَ" رواه مسلم(٤).

---

(١) لم أقف عليه عند الإمام أحمد. لكن رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٥٨) برقم (٥٧٨٧). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٧٨٧). المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

(٢) فيض القدير (٦/ ٢٥٣). فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٨١) برقم (١٨٥٥) كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٣٣) برقم (٣٣٣٦) كتاب أحاديث الأنبياء باب الأرواح جنود مجندة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٣١) برقم (٢٦٣٨) كتاب البر والصلة والآداب باب الأرواح جنود مجندة.

رأى عبد الله بن عبَّاس– رضي الله عنهما– رجلًا فقال: إنَّ هذا لَيُحبُّني، قالوا: وما علمُك؟ قال: إنِّي لَأحبُّه، والأرواح جنودٌ مُجنَّدة، فما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكرَ منها اختلفَ[١].

تَعـارُفُ أرواحِ الرِّجـالِ إذا التقَـوا   فمـنهمْ عـدوٌّ يُـتَّقَى وَخَليـلُ
كذاكَ أمورُ النَّاسِ، والنَّاسُ منهمُ   خفيفٌ إذا صاحبتَهُ وثقيـلُ[٢]

٢– التَّواضُع: إنَّ خفض الجنَاح ولين الكَلِمَة وتَرْك الإغلاظ؛ مِن أَسبَاب الأُلْفَة واجتماع الكَلِمَة وانتظام الأَمر، ولهذا قيل: مَن لانتْ كلمتُه وجبتْ محبَّتُه وحَسُنَتْ أُحدُوثَتُه، وظمئتِ الْقُلُوبُ إلى لقائِهِ وتنافستْ في مودَّته.

٣– القيام بحقوق المسلمين والالتزام بها: عن أبي هريرة– رضي الله عنه– أنَّ رسول الله ﷺ قال:" حقُّ المسلم على المسلم خمسٌ: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتِّباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس" رواه البخاري ومسلم[٣].

فهذه الحقوق التي بيَّنَها النَّبيُّ ﷺ ؛ إذا قام بها النَّاسُ بعضُهم مع بعضٍ؛ حَصلتْ بذلك الأُلْفَة والمودَّة، وزال ما في القلوب والنُّفوس مِن الضَّغائن والأحقاد.

٤– الكلام اللَّين: فالكلام الطَّيب مِن أقوى الأسباب التي تُؤلِّف بين القلوب، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[٤].

٥– التَّعفُّف عن سؤال النَّاس: قال رسول الله ﷺ:" وازهد فيما في أيدي النَّاس يُحبَّك النَّاس" رواه ابن ماجه[٥].

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٠٨). روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١١٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٧١) برقم (١٢٤٠) كتاب الجنائز باب الأمر باتباع الجنائز. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٤) برقم (٢١٦٢) كتاب السلام باب من حق المسلم للمسلم رد السلام.

(٤) الإسراء: ٥٣.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٧٣) برقم (٤١٠٢) كتاب الزهد باب الزهد في الدنيا. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٢٢٠). صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)/ الناشر: المكتب الإسلامي.



٦- السَّعي في الإصلاح بين النَّاس: قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

٧- الاهتمام بأمور المسلمين والإحساس بقضاياهم: قال رسول الله ﷺ:" المؤمنون كرجُلٍ واحدٍ، إذا اشتكى رأسُه تداعى له سائرُ الجسدِ بالحُمَّى والسَّهر" رواه البخاري[2].

٨- التَّهادي: لا شكَّ أنَّ تقديم الهديَّة يزيد مِن الأُلْفَة والمحبَّة والتَّقارُب بين المهدِي والمُهْدَى إليه، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النَّبيِّ ﷺ قال:" تَهادوا تحابُّوا" رواه البخاري في (الأدب المفرد)[3].

والخلاصة: أنَّ للألفة فوائد عديدة؛ منها:

١- الأُلْفَة بين المؤمنين مِن أسباب النَّصر على الأعداء، وسبب التَّمكين في الأرض.

٢- الأُلْفَة تجمع شمل الأمَّة، وتمنع ذلَّهم، وتمنحهم العزَّة والقوَّة.

٣- الأُلْفَة سببٌ للاعتصام بالله وبحبله المتين.

٤- الألفة من أسباب محبَّة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

وممَّا يُنسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- قوله:

عليكَ بإخوانِ الصَّفاءِ فإنَّهُمْ ... عمادٌ إذا استنجدتَهُمْ وظُهورُ
وإنَّ قليلًا ألْفُ خِلٍّ وصاحِبٍ ... وإنَّ عَدُوًّا واحدًا لكثيرُ[4]

(١) الأنفال: ١.

(٢) رواه لهذا اللفظ مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠٠) برقم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم. ورواه قريبًا منه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠) برقم (٦٠١١) كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص ٢٠٨) برقم (٥٩٤). والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٢١). الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

(٤) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ١٣٠). المستطرف في كل فن مستطرف، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ.

٦ جمادى الأولى

التضحية

التضحية هي بذْل النَّفس أو الوقت أو المال، لأجل غايةٍ أسمى، مع احتساب الأجر والثواب على ذلك عند الله عزَّ وجلَّ، ومن معانيها: البذْل والجهاد والفداء.

وهناك مجالاتٌ مُتنوِّعةٌ ومُتعدِّدةٌ للتضحية:

المجال الأول: التضحية من أجل الدِّين: وهذا المجال هو أساس التضحية، وكل تضحية دونه هباء، والله تعالى أمَرنا وحثَّنا على التضحية؛ من أجْل رفْع لواء دِينه، ونُصرة شرْعه، وعقَد مع المضحِّين عقدًا بموجبه يبذُلُ المضحِّي نفسَه وَمَالَه لله تعالى، ويجزيه الله تعالى جناتٍ تجري من تحتها الأنهار؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (١).

ويقول عزَّ وجلَّ أيضًا: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢).

دَفَعُوا ضَرِيبَةَ نصْرِ الدينِ مِنْ دَمِهِمْ ... وَالنَّاسُ تَزعُمُ نَصْرَ الدِّينِ مَجَّانَا

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" مَا مِنْ مَجْرُوحٍ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِ اللهِ- وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِهِ- إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْجُرْحُ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ جُرِحَ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ" رواه البخاري ومسلم(٣).

المجال الثاني: التضحية من أجل الوطن: فمتى كان وطنُ المرء وطنًا مُسلمًا يُقيم شعائر الله تعالى؛ فإنَّ التضحية في سبيله واجبةٌ على جميع أفراده، وللوطن في نفس المرء قيمة وقامة، ومنزلة عظيمة، ولِمَ لا؟ والله تعالى سوَّى بين القتل وبين الخروج من الأوطان؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ (٤).

---

(١) التوبة: ١١١

(٢) البقرة: ٢٤٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٩٦) برقم (٥٥٣) كتاب الذبائح والصيد باب المسك. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٩٥) برقم (١٨٧٦) كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

(٤) النساء: ٦٦.



مَــا نَالَ مَرتبــةَ الخُلُــودِ بغــيرِ تَضْــحيةٍ رَضــيَّة
عاشتْ نفـوسٌ في سـبيلِ بِلادِهــا ذهبتْ ضَحيَّة(١)

فالدفاع عن البلاد وأهلها من الجهاد المشروع، ومَن يُقتل في سبيل ذلك وهو مُسلِمٌ يُعَدُّ شهيدًا؛ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ- رضي الله عنه- سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دَونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دَونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دَونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" رواه الترمذي(٢).

والمرابطة على الثغور، وحفْظ أمْنِ الأوطان؛ سببُ الفلاح والنجاح؛ قال الله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(٣).

فجنودنا البواسل الذين يسهرون ليلهم، ويُكابدون نهارهم؛ أجرهم عظيمٌ، وثوابهم جزيلٌ، عَنْ سَلْمَانَ- رضي الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ" رواه مسلم(٤).

وفي الصحيحين عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ- رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- قَالَ:" رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا"(٥).

المجال الثالث: التضحية من أجل النفْس والعِرْض والمال: وهذا ما يُسمَّى" دفع الصائل"، فواجبٌ على المسـلم أن يصون نفْسه وعِرْضه، ويحمي ماله، وأن يُضحِّي من أجـل ذلك. جاء رجُلٌ فقال: يا رسولَ الله؛ أرأَيْتَ إنْ جَاءَ رجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مالِي؟ قال: فَلا تُعْطِه مالَكَ، قال: أرأَيْتَ إنْ قَاتَلَنِي؟ قال: قاتِلْهُ، قال: أرَأَيْتَ إن قَتَلَنِي؟ قال: فأنتَ شهيدٌ، قال: أرأيْتَ إن قتلتُه؟ قال:" هو في النار" رَوَاهُ مسلمٌ(٦).

---

(١) البيتان لإبراهيم طوقان، ينظر: التضحية في واحة الشعر، موقع الدرر السنية.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٠) برقم (١٤٢١) أبواب الديات باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٤٥٥) برقم (٣٥٤٤) كتاب المحاربة من قاتل دون دينه. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ١٦٤).

(٣) آل عمران: ٢٠٠

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢٠) برقم (١٩١٣) كتاب الإمارة باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٣٥) برقم (٢٨٩٢) كتاب الجهاد والسير باب فضل رباط يوم في سبيل الله.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٢٤) برقم (١٤٠) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق، كان القاصد مهدر الدم في حقه، وإن قتل كان في النار، وأن من قتل دون ماله فهو شهيد.



والدفاع عن العِرْض واجبٌ باتفاق الفقهاء، فلا تحلُّ إباحتُه بحالٍ؛ لأنَّه لا يقلُّ أهميةً عن غيره من الضروريات، بل إنَّ عادة العقلاء بذْلُ نفوسهم وأموالهم دون أعراضهم، وما فُدِي بالضروري فهو بالضرورة أَوْلى، ولهذا قال قائلهم:

يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا وَتَسْلَمَ أَعْرَاضٌ لَنَا وَعُقُولُ(١)

والتضحية على مراتب متفاوتة:-

١- التَّضْحية بالنَّفس، وهي من أعلى مراتب التَّضْحية: عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: مِن خير معاش النَّاس لهم؛ رجُلٌ مُمسِكٌ عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلَّما سمع هَيْعَةً أو فزعةً طار عليه، يبتغي القتل والموت مظانَّه، أو رجُلٌ في غنيمةٍ في رأس شَعَفَةٍ من هذه الشَّعَف، أو بطن وادٍ من هذه الأودية، يُقيم الصَّلاة، ويُؤتي الزَّكاة، ويعبُد ربَّه حتَّى يأتيَه اليقين، ليس من النَّاس إلَّا في خيرٍ" رواه مسلم(٢).

٢- التَّضْحية بالمال: كما في حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أجودَ النَّاس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كلِّ ليلةٍ من رمضان فيدارسه القرآن، فلَرسولُ الله صلى الله عليه وسلم أجودُ بالخير من الرِّيح المرسَلة" رواه البخاري(٣).

وعن عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- قال: أمَرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدَّق، فوافقَ ذلك عندي مالًا، فقلتُ: اليوم أسبقُ أبا بكرٍ إن سبقتُه يومًا، قال: فجئتُ بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أبقيتَ لأهلك؟ قلتُ: مثلَه، وأتى أبو بكرٍ بكلِّ ما عنده، فقال: يا أبا بكرٍ؛ ما أبقيتَ لأهلك؟ قال: أبقيتُ لهم اللهَ ورسولَه، قلتُ: لا أسبقُه إلى شيءٍ أبدًا. رواه أبو داود(٤).

٣- التَّضْحية بالوقت والبدن: فالتضحية تكون بكل غالٍ ونفيسٍ في سبيل غايةٍ أسمى وأرجى عند الله عز وجل.

بيتٌ دعائمُه نُبْلٌ وتَضْحيةٌ إذا بَنَى النَّاسُ مِن صَخْرٍ ومن شِيدِ(٥)

---

(١) الدر الفريد وبيت القصيد (١٠/ ١٦٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠٣) برقم (١٨٨٩) كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والرباط.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨) برقم (٦) كتاب بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢/ ١٢٩) برقم (١٦٧٨) كتاب الزكاة باب في الرخصة في ذلك. الترمذي في جامعه (٥/ ٦١٤) برقم (٣٦٧٥) أبواب المناقب باب بدون ترجمة. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٤/ ١٧٨).

(٥) البيت لعلي جارم. ينظر: التضحية في واحة الشعر، موقع الدرر السنية.



والخلاصة: ما قاله ابن القيم- رحمه الله-: يا مُخَنَّثَ العزمِ؛ أين أنتَ؟ والطريقُ طريق تعِب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمِي في النار الخليل، وأُضجع للذِّبح إسماعيلُ، وبيع يوسفُ بثمنٍ بخسٍ، ولبثَ في السجنِ بضع سنين، ونُشِر بالمنشار زكريا، وذُبِح السيد الحصورُ يَحيى، وقاسى الضُّرَّ أيوبُ، وزاد على المقدار بكاءُ داودَ، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقرَ وأنواعَ الأذى محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، تُزهى أنت باللهو واللعب؟[١]

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ٤٢). الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

٧ جمادى الأولى

التعاون

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: حياة بني آدم وعيشهم في الدنيا لا يتم إلَّا بمعاونة بعضهم لبعض في الأقوال، أخبارها وغير أخبارها، وفي الأعمال أيضًا[١]. وأمَّا في مسائل الدِّين والشَّرع؛ فالأمر كذلك، فلم يقُمْ نبيٌّ من الأنبياء بالدعوة إلَّا واحتاج مَن يُعينُه على تحقيق التوحيد، ودحْر الشرك، وفي الجهاد يظهر أثر ذلك جليًّا، وقُلْ مثل ذلك في التعليم، ورعاية المساكين، والقيام على الأرامل والأيتام .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي- رحمه الله-: الإعانة هي: الإتيان بكلِّ خصلةٍ من خصال الخير المأمور بفعلها، والامتناع عن كلِّ خصلةٍ من خصال الشرِّ المأمور بتركها، فإنَّ العبد مأمورٌ بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره عليها من إخوانه المسلمين بكلِّ قولٍ يبعث عليها، وبكلِّ فعلٍ كذلك[٢].

قال سبحانه:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٣].

قال ابن كثير: يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعْل الخيرات، وهو البرُّ، وترْك المنكرات، وهو التَّقوى، وينهاهم عن التَّناصر على الباطل، والتَّعاون على المآثم والمحارم[٤].

وقال القرطبيُّ: هو أمرٌ لجميع الخَلْق بالتَّعاون على البِرِّ والتَّقوى، أي لِيُعِنْ بعضُكم بعضًا، وتحاثُّوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به، وانتهُوا عمَّا نهى الله عنه وامتنعوا منه، وهذا مُوافِقٌ لما رُوِي عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" مَن دَلَّ على خيرٍ فَلَهُ مِثْلُ أجْرِ فَاعِلِهِ" رواه مسلم[٥][٦].

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٣٦٤). الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

(٢) ينظر: تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢١٩).

(٣) المائدة: ٢.

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠٦) برقم (١٨٩٣) كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير.

(٦) تفسير القرطبي (٦/ ٤٦). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.



وقال الماورديُّ: ندَبَ الله سبحانه إلى التَّعاون بالبرِّ، وَقَرَنَهُ بالتَّقوى له؛ لأنَّ في التَّقوى رضا الله تعالى، وفي البرِّ رضا النَّاس، ومَن جمَعَ بين رضا الله تعالى ورضا النَّاس فقد تمَّتْ سعادتُه، وعمَّتْ نعمتُه(١).

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن جهَّز غازيًّا في سبيل الله فقد غزا، ومَن خلَّف غازيًا في أهله بخيرٍ فقد غزا" رواه مسلم(٣).

قال العلَّامة ابن عثيمين: هذا مِن التَّعاون على البرِّ والتَّقوى، فإذا جهَّز الإنسانُ غازيًا- يعني براحلته ومتاعه وسلاحه- إذا جهَّزه بذلك فقد غزا، أي كُتِب له أجرُ الغازي؛ لأنَّه أعانه على الخير. وكذلك مَن خَلَفَه في أهله بخيرٍ فقد غزا، يعني لو أنَّ الغازي أراد أن يغزو ولكنَّه أُشْكِل عليه أهله؛ مَن يكون عند حاجاتهم؟ فانتدب رجلًا مِن المسلمين وقال: اخلُفني في أهلي بخيرٍ، فإنَّ هذا الذي خلفه يكون له أجر الغازي؛ لأنَّه أعانه(٤).

قال ابن تيمية- رحمه الله-: التَّعاون نوعان: الأوَّل: تعاونٌ على البرِّ والتَّقوى؛ مِن الجهاد وإقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، وإعطاء المستحِقِّين؛ فهذا ممَّا أمرَ اللهُ به ورسولُهُ صلى الله عليه وسلم. ومَن أمسك عنه خشية أن يكون مِن أعوان الظَّلمة فقد ترَكَ فرْضًا على الأعيان، أو على الكفاية مُتوهِّمًا أنَّه مُتورِّعٌ. وما أكثرَ ما يشتبه الجبن والفشل بالورع؛ إذ كلٌّ منهما كفٌّ وإمساكٌ.

والثَّاني: تعاونٌ على الإثم والعدوان؛ كالإعانة على دمٍ معصومٍ، أو أخذ مالٍ معصومٍ، أو ضرْب مَن لا يستحِقُّ الضَّرب، ونحو ذلك؛ فهذا الذي حرَّمه اللهُ ورسولُهُ صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص: ١٨٢). أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٧) برقم (٢٨٤٣) كتاب الجهاد والسير باب فضل من جهز غازيًا أو خلفه بخير. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠٦) برقم (١٨٩٥) كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير.

(٤) ينظر: شرح رياض الصالحين (٢/ ٣٧٤).

نعم، إذا كانت الأموال قد أُخِذَت بغير حقٍّ، وقد تعذَّر ردُّها إلى أصحابها، ككثيرٍ مِن الأموال السُّلطانيَّة؛ فالإعانة على صرْف هذه الأموال في مصالح المسلمين كسداد الثُّغور، ونفقة المقاتلة، ونحو ذلك؛ مِن الإعانة على البرِّ والتَّقوى[1].

ومن صور التعاون التي وردتْ في القرآن الكريم:

١- أمَرَ الله سبحانه وتعالى إبراهيم- عليه السَّلام- ببناء الكعبة، فقام إبراهيم- عليه السَّلام- استجابةً لأمر الله، وطلب مِن ابنه إسماعيل أن يساعده على تنفيذ هذا الأمر الإلٰهي، ويُعينه في بناء الكعبة، فقال له: يا إسماعيل؛ إنَّ الله أمرني بأمْرٍ، قال: فاصنعْ ما أمرَكَ ربُّكَ، قال: وتُعينُني؟ قال: وأُعينُك، قال: فإنَّ الله أمرَني أن أبنيَ هاهنا بيتًا، وأشار إلى أكمةٍ مرتفعةٍ على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد مِن البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء؛ جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه، وهو يَبني وإسماعيل يُناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[2]، قال: فجعلا يبنيانِ حتى يدورا حول البيت.

٢- لقد مكَّن الله عزَّ وجلَّ لذي القرنين في الأرض، وآتاه مِن كلِّ شيءٍ سببًا، فتوفَّرت القدرة والسُّلطة، وتهيَّأتْ أمامه أسبابُ القوَّة والنُّفُوذ التي لم تتوفَّرْ لكثيرٍ غيره. قال تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ۝٨٣ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴾[3]، ومع ذلك لم يستغن ذو القرنين عن معونة الآخرين حينما أراد أن يقوم بعملٍ كبيرٍ، وإنجازٍ عظيمٍ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ۝٩٣ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴾[4]، فصارحهم ذو القرنين بأنَّ مِثل هذا العمل الضَّخم يحتاج إلى التَّعاون، ولا يَتمُّ دونه؛ ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ۝٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٨٣). مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٢) البقرة: ١٢٧.

(٣) الكهف: ٨٣-٨٤.

(٤) الكهف: ٩٣-٩٤.



جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا﴾ (١)، فماذا كانتْ نتيجة هذا التَّعاون العظيم؟ كانت نتيجتُه إتمامَ عملٍ عظيمٍ، سدٌّ منيعٌ، لا يستطيع مُهاجموه أن يَعلوا ظهره، ولا أن يُحدِثوا فيه خَرْقًا. والدَّرس الذي نخرج به أنَّ التَّعاون إذا أخلص له أهلُهُ، وبذلوا فيه بصدْقٍ ما استطاعوا؛ حقَّق لهم مِن النتائج ما يكفي ويشفي.

بل إنَّ التعاون ظاهرةٌ كونيةٌ بين العديد من المخلوقات حتى الحيوانات، وكلُّنا يعلم مظاهر التعاون في عالم النمل، وصدَقَ الشاعر حين صوَّر ذلك قائلًا:

إنِّي رأيـــــتُ نملــــةً	في حـيرةٍ بـين الجبـالْ
لمْ تستطعْ حمْلَ الطَّعامِ	وحْـدَها فـوقَ الرِّمـالْ
نادتْ على أختٍ لها	تُعينُهـا فالحمْـلُ مَـالْ
لمْ يســتطيعا حمْلَـه	تــذكَّرا قــولًا يُقَــالْ
تَعــاونُوا جمــيعُكمْ	فــالخيرُ يأتِي بالوصــالْ
نادتْ علـى إخوانِهـا	جـاءُوا جميعًـا بالجِبـالْ
جرُّوا معًا طعامَهــــمْ	لمْ يَعــرِفوا شيئًا مُحَالْ (٢)

الخلاصة: كان الصَّحابة- رضوان الله عليهم- والتابعون وتابعوهم والصالحون في كل زمان ومكان؛ مثالًا يُحْتَذى بهم في التَّعاون، وكانوا في ذلك المثل الأسمى، فكانوا كخليَّة النَّحل في تكاتُفها وتعاونها، ففي الوقت الذي كان فيه أبو عبيدة بن الجرَّاح، وسعد بن أبي وقَّاص، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص؛ يفتحون مصر والشَّام والعراق، كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يسوسون النَّاس، ويرعون شؤونهم، وكان معاذ بن جبل وابن عبَّاس وابن عمر يُعلِّمون النَّاس، ويُفتونهم ويُربُّونهم، وكان أبو هريرة وأنس وعائشة يحفظون الحديث ويروونه، وكان أبو ذرٍّ وأبو الدَّرداء يَعظُون النَّاس والحُكَّام وينصحونهم، فتعاوَنوا ولم يتعايبوا، وتناصروا ولم يتدابروا. - رضي الله عنهم جميعًا-.

ولله درُّ القائل:

كُونـوا جميعًـا يَا بَـنِيَّ إذا اعـترى	خَطــبٌ وَلَا تتفرَّقــوا آحَــادَا
تَأبَى القِداحُ إذا اجتمعْنَ تكَسُّرًا	وإذا افترَقنَ تكسَّرتْ أفْرَادَا (٣)

---

(١) الكهف: ٩٥-٩٦.

(٢) إني رأيت نملة. للشاعر: إيهاب عبدالسلام. https://www.modars١.com/t٦٨٠٨٥-topic.

(٣) فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء (ص: ٧٩). فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، المؤلف: أبو محمد أحمد بن محمد، المعروف بابن عربشاه (المتوفى: ٨٥٤هـ)، حققه وعلق عليه: أيمن عبد الجابر البحيري، الناشر: دار الآفاق العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٨ جمادى الأولى

الكرم

الكرم إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر، الكثيرة النفع[١].

وقيل: هو التبرُّع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المحل، والرأفة بالسائل مع بذْل النائل[٢].

ومن أفضل ما قيل في تعريف الكرم: هو البذْل والسخاء بالنفس والوقت، والمال والجاه، في جميع الأحوال.

والكرم أولًا صفة من صفات الله تعالى ثابتة له عزَّ وجلَّ بالكتاب والسُّنَّة، فمن أسمائه الحسنى الكريم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾[٣]، وقوله أيضًا: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴾[٤]، وقوله سبحانه: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾[٥].

وعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ- رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ" رواه الترمذي وابن ماجه[٦].

ومن كرمه عزَّ وجلَّ أن وفَّقنا إلى الطاعة، وهدانا إلى الصراط المستقيم، ويُثيبُنا على ذلك بالحياة الطيبة في الدنيا، وبالجنة في الآخرة.

ومن كرمه أيضًا أنْ جعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وجعل السيئة بواحدة ويعفو، سبحانك يا كريم: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾[٧].

---

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق (ص: ٣١). تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، المؤلف: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ)، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى.

(٢) ينظر: البصائر والذخائر (٤/ ١٨٥). البصائر والذخائر، المؤلف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ)، المحقق: د/ وداد القاضي، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

(٣) الانفطار: ٦.

(٤) الفجر: ١٥.

(٥) العلق: ٣.

(٦) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٧٨) برقم (١٤٨٨) باب تفريع أبواب الوتر باب الدعاء. والترمذي في جامعه (٥/ ٥٥٦) برقم (٣٥٥٦) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧١) برقم (٣٨٦٥) كتاب الدعاء باب رفع اليدين في الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣/ ٤٨٨).

(٧) الأنعام: ١٦٠.



والكرم ثانيًا صفة من صفات الأنبياء والمرسَلين، فهم صفوة خلق الله تعالى، وقد اتَّصفوا بمعالي الأمور، وإليكم بعض شواهد الكرم في حياة الأنبياء والصالحين:

١- كرم خليل الرحمن إبراهيم- عليه السلام-: فهو أول من ضيَّف الضيفان، حتَّى سُمِّي أبا الضيفان، وقيل: هو أول مَن بَنَى دار الضيافة، وجعل لها بابين، فقد رُوي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: إنَّ الله وسَّع على خليله إبراهيم- عليه السلام- في المال والخدم، فاتَّخذ بيتًا للضيافة له بابان: يدخل الغريب مِن أحدهما ويخرج مِن الآخر، وجعل في ذلك البيت كسوة الشتاء والصيف، ومائدة منصوبة عليها طعام، فيأكل الضيف إن كان جائعًا، ويلبس إن كان عُريانًا[١].

وقد أثنى الله تعالى عليه في كتابه العزيز في إكرام ضيفه من الملائكة حيث يقول سبحانه: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾[٢].

٢- كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقد كان صلى الله عليه وسلم يُعطي عطاءً يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر، عطاء مَن لا يخشى الفقر.

فقد غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الفتح- فتح مكة-، ثم خرج بمَن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحُنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ صفوان بن أمية مائةً من النعم ثم مائةً ثم مائةً، حتَّى قال صفوان:" والله لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لأبغضُ الناس إليَّ، فما برِحَ يُعطيني حتَّى أنَّه لأحبُّ الناسِ إليَّ" رواه مسلم[٣].

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: أُتِي النبيُّ صلى الله عليه وسلم بمالٍ من البحرين، فقال: انثروه في المسجد، فكان أكثر مال أُتِي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاءه العبَّاس فقال: يا رسول الله؛ أعطني إني فاديتُ نفسي وفاديتُ عقيلًا، فقال: خُذ، فحثا في ثوبه، ثم ذهبَ يُقِلُّه فلم يستطع، فقال: اؤمرْ بعضَهم يَرفعه إليَّ، قال: لا، قال: فارفعْه أنتَ عليَّ، قال: لا، فنثرَ منه

---

(١) ينظر: إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى (٢/ ٧٠). إتحاف الأخِصّا بفَضَائل المسجد الأقصى، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، المنهاجي الأسيوطي ثم القاهري الشافعي (المتوفى: ٨٨٠هـ)، المحقق: د/ أحمد رمضان أحمد، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتب، عام النشر: ١٩٨٢ - ١٩٨٤م.

(٢) الذاريات: ٢٤-٢٧.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٦) برقم (٢٣١٣) كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.

ثم ذهبَ يُقِلُّه فلم يرفعْه (يستطع)، فقال: فمُرْ (اؤمرْ) بعضَهم يَرفعه عليَّ، قال: لا، قال: فارفعْه أنتَ عليَّ، قال: لا، فنثرَ منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلقَ، فما زالَ يتبعه بصره حتَّى خفي علينا، عجبًا مِن حرصه، فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ" رواه البخاري[1].

كَرِيمٌ إِذا ما جِئتَ طالِبَ فَضْلِهِ ... حَباكَ بِما تَحوي عَلَيهِ أَنامِلُه

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيرُ رُوحِهِ ... لجَادَ بِهَا فَليَتَّقِ اللَّهَ سائِلُه

وَمَا بُعِثتْ فِي العَالَمينَ فَضيــلَةٌ ... مِنَ المجدِ إِلَّا مَجْدُهُ وَفَضــائِلُه[2]

٣- يقول المؤرِّخ والمفكِّر المعاصِر أورخان محمد عليٌّ، في الجزء الأول من كتابه (جوامع إسطنبول): كان هناك شخصٌ ورِعٌ يعيش في منطقة (الفاتح)، واسمه (خير الدين كجحي أفندي)، كان يتمنَّى أن يبنِيَ جامعًا في مكانٍ مِن أفضل الأماكن، فكان عندما تتوق نفسُه لشراءِ فاكهةٍ أو لحمٍ أو حلوى؛ كان يقول في نفسه: سأفترض أنَّني أكلتُه، ثم يضع ثمنَ تلك الفاكهة أو اللحم أو الحلوى في صندوقٍ عنده. ثم مضت الأشهر والسنوات وهو على هذه الحال، يمنع نفسه عن كثيرٍ من لذائذ الأكل، وبالتالي تزداد النقود في صندوقه الكبير شيئًا فشيئًا، حتَّى استطاع ذاتَ يومٍ أن يشتري الأرض الصالحة للبناء، ثم أخذ في بناء المسجد وحدَه دون طلب معونةٍ من أحد، ولَمَّا كان أهل المكان يَعرفون فقرَ هذا الشخص؛ فقد فُوجئوا بهذا، ولَمَّا عَرَفوا قصَّته انبهروا بها، وأطلقوا على الجامع الذي تمَّ بناؤه اسم (جامع كأنَّني أكلتُه)، وما زال الجامعُ معروفًا هناك باللغة التركية باسم (جامع صانكي يدم)؛ أي: جامع (أفترض أنَّني أكلتُ).

يَجودُ بالنفسِ إذ ضنَّ البخيلُ بها ... والجودُ بالنَّفسِ أقصى غايةِ الجودِ[3]

الخلاصة: ما قاله ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-: ساداتُ النَّاس في الدُّنيا الأسخياءُ، وفي الآخرة الأتقياءُ[1]. وما قاله سلمان الفارسي- رضي الله عنه-: إذا ماتَ السَّخيُّ قالت الأرضُ والحفظةُ: ربِّ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٩١) برقم (٤٢١) كتاب الصلاة باب القسمة، وتعليق القنو في المسجد.

(٢) ينظر: الوحشيات = الحماسة الصغرى (ص: ٢٤٧) دون البيت الأخير، والبيت الأخير والذي قبله ذكرهما ابن المعتز في طبقات الشعراء (ص: ٤٣٥). الوَحشيَّات وهوَ الحمَاسَة الصُّغرى، المؤلف: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب (المتوفى: ٢٣١هـ)، علق عليه وحققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة: الثالثة. طبقات الشعراء، المؤلف: عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ)، المحقق: عبد الستار أحمد فراج، الناشر: دار المعارف – القاهرة، الطبعة: الثالثة.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام (٤/ ١٢٠٧). تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.



تجاوَزْ عن عبدك في الدنيا بسخائه، وإذا ماتَ البخيلُ قالتا: اللَّهُمَّ احجبْ هذا العبد عن الجنَّة، كما حجبَ عبادك عمَّا جعلتَ في يديه من الدنيا[٢].

وفي الختام؛ رسالة إلى البخلاء الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله:

قلْ لي بِربِّكَ ماذا يَنفعُ المالُ	إنْ لمْ يُزيِّنْهُ إحْسانٌ وإفْضالُ
المالُ كالماءِ إنْ تُحْبَسْ سَواقِيهِ	يَأْسَنْ، وإنْ يَجْرِ يَعْذُبْ منْهُ سَلْسَالُ
تَحيَا عَلَى الماءِ أَعْرَاسُ الرِّيَاضِ	تَحيا عَلَى المالِ أرْواحٌ وَآمَالُ
كَمَا إنَّ الثَّرَاءَ إذا حِيلتْ مَوارِدُهُ	دُونَ الفَقيرِ فَخَيرٌ منْهُ إقْلَالُ
اللهُ أعْطاكَ فابْذُلْ مِنْ عَطِيَّتِهِ	فَالمالُ عَارِيَةٌ والعُمرُ رَحَّالُ[٣]

(١) العقد الفريد (١/ ١٩١). العقد الفريد، المؤلف: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٢) البخلاء للخطيب البغدادي (ص: ٧٣). البخلاء للخطيب البغدادي، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، بعناية: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م.

(٣) موارد الظمآن لدروس الزمان (٣/ ٧٤). موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، المؤلف: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الطبعة: الثلاثون، ١٤٢٤هـ.

٩ جمادى الأولى

الحلم

ما أجمل العفو عند المقدرة، وما أجمل الحِلْم والصَّفْح بدلًا من الغضب والثأر، إنَّ إيذاء أو مقاتلة أولئك الجُهَّال لم يَطِشْ له حِلْمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الشُّقَّة بعيدةٌ بين رَجُلٍ اصطفاه الله رسولًا خاتمًا؛ وبين قوم سفَّهوا أنفسهم وتهاووا على عبادة الأصنام.

إنَّها جاهليةٌ عالج رسول الله صلى الله عليه وسلم داءها، حيث كانت تقوم على نوعَيْن من الجهالة: جهالة ضد العلم، وأخرى ضد الحِلْم، فأمَّا الأولى فعلاجها يتمُّ بأنواع المعرفة وفنون الإرشاد، وأمَّا الأخرى فدواؤها يعتمد على كَبْح الهوى ومنع الفساد والجهل الذي كان العرب يفتخرون بأنَّهم يلقونه بجهلٍ أشدَّ، حتى قال قائلُهم فخرًا وتيهًا:

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا[1]

فجاء الإسلام يُكفكف من هذه النزوات، ويقيم أركان المجتمع على الفضل، فإن تعذَّر فالعدل، ولن تتحقَّق هذه الغاية إلَّا إذا هَيْمَن العقل الرَّاشد على غريزة الجهل والغضب.

لذا جاء الإسلام بالحِلم، وهو ضبطُ النفس عند الغضب، وكفُّها عن مقابلة الإساءة بالإساءة، مع تحكيم المسلم دينَه وعقله عند إيذاء الآخرين له، مع قدرته على ردِّ الإيذاء بمثله.

والحليم اسمٌ من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾[2].

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب يقول:" لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ السموات والأرض، وربُّ العرش العظيم" متفق عليه[3].

---

(١) جمهرة أشعار العرب (ص: ٨٧). جمهرة أشعار العرب، المؤلف: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: ١٧٠هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢) البقرة: ٢٣٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٥) برقم (٦٣٤٥) كتاب الدعوات باب الدعاء عند الكرب. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٢) برقم (٢٧٣٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب دعاء الكرب.



يقول الإمام أبو حامد الغزالي في بيان معنى اسم الله الحليم: الحليم هو الذي يشاهد معصية العصاة، ويرى مخالفة الأمْر، ثم لا يستفزُّه غضبٌ، ولا يعتريه غيظٌ، ولا يحمله على المشاركة إلى الانتقام، مع غاية الاقتدار(١).

كما وَصَفَ الله عزَّ وجلَّ بعضَ أنبيائه بالحلم؛ فقال عن إبراهيم- عليه السلام-: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ (٢).

كما وصف إسماعيل- عليه السلام- بالحلم في قوله تعالى:﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (٣). كما وردتْ آيات قرآنية عديدةٌ تشير إلى هذا الخُلُق الفاضل، وتدعو المسلمين إلى ضرورة التحلِّي به؛ قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٤)، وقال عز وجل: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (٥)

كما بلَغَ سيدُنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم قمَّةَ هذا الخُلُق العظيم، وذروة هذا الأدب الرفيع، فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: كنتُ أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدٌ نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة، حتى نظرتُ إلى صفحة عاتق رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قد أثَّرت بها حاشية البرد؛ من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد؛ مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفتَ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر له بعطاء. متفق عليه(٦).

كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى التحلِّي بهذا الخُلق؛ فعن سهل بن معاذ عن أبيه- رضي الله عنه- أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" من كظَم غيظًا وهو قادرٌ على أن يُنفذه؛ دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يُخيِّره من أي الحور العين شاء" رواه أحمد(٧).

---

(١) المقصد الأسنى (ص: ١٠٣). المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

(٢) هود: ٧٥.

(٣) الصافات: ١٠١

(٤) آل عمران: ١٣٣، ١٣٤

(٥) الأعراف: ١٩٩.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٩٤) برقم (٣١٤٩) كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٣٠) برقم (١٠٥٧) كتاب الزكاة باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة.

(٧) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ٣٩٨) برقم (١٥٦٣٧). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٤٨) برقم (٤٧٧٧) كتاب الأدب باب من كظم غيظًا. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٠) برقم (٤١٨٦) كتاب الزهد باب الحلم. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٢٧٧).

وممَّا ورد من بعض الرجال الذين اتَّصفوا بهذا الخلق الرفيع والأدب الجمّ؛ أنَّ رجلًا سبَّ الأحنف بن قيس وهو يُماشيه في الطريق، فلما قرُب من المنزل؛ وقف الأحنف وقال: يا هذا؛ إن كان بقي معك شيءٌ؛ فقُلْه هاهنا، فإنِّي أخاف إن سمعك فتيانُ الحيِّ أن يُؤذوك[١].

وقيل للأحنف يومًا: ممَّن تعلمتَ الحلم؟ قال: مِن قيس بن عاصم المنقري، بينا نحن عنده يومًا، وهو قاعد بفنائه مُحتبٍ بكسائه؛ أتتْه جماعةٌ فيهم مقتولٌ ومكتوفٌ، فقالوا: هذا ابنُك قتلَه ابنُ أخيك، فوالله ما حلَّ حبوتَه حتى فرغَ من كلامه، ثم التفتَ إلى ابنٍ له في المسجد فقال له: اطلقْ ابن عمِّك، ووارِ أخاك، واحملْ إلى أمِّه مائةً من الإبل، فإنَّها غريبةٌ[٢].

وقيل لقيس بن عاصم: ما الحلم؟ قال: أن تَصِلَ مَن قطعكَ، وتُعطيَ مَن حرَمكَ، وتعفوَ عمَّن ظلمكَ[٣].

وقال عليٌّ- رضي الله عنه-: "مَن لانتْ كلمتُه وجبتْ محبَّتُه، وحلْمُك على السفيه يُكثرُ أنصارَكَ عليه"[٤].

وقال الحسن- رحمه الله-: المؤمن حليمٌ لا يجهلُ؛ وإنْ جهلَ الناسُ عليه، وتلا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَامًا﴾[٥][٦].

وشتم رجلٌ الشعبيَّ، فقال له: إن كنتَ صادقًا فغفرَ الله لي، وإن كنتَ كاذبًا فغفرَ الله لك[٧].

وأسمع رجلٌ عمرَ بن عبد العزيز- رحمه الله- بعضَ ما يكره، فقال: لا عليك؛ إنَّما أردتَ أن يستفزَّني الشيطان بعزَّة السلطان، فأنال منك اليومَ ما تناله مني غدًا، انصرفْ إذا شئتَ[٨].

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ٢٠٣).

(٢) المجالسة وجواهر العلم (٣/ ١٦٧). المجالسة وجواهر العلم، المؤلف : أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت – لبنان)، تاريخ النشر: ١٤١٩هـ.

(٣) العقد الفريد (٢/ ١٣٧).

(٤) العقد الفريد (٢/ ١٣٨).

(٥) الفرقان: ٦٣.

(٦) العقد الفريد (٢/ ١٣٧).

(٧) العقد الفريد (٢/ ١٣٥).

(٨) العقد الفريد (٢/ ١٣٨).



والحليم إمَّا أن يكون حليمًا مفطورًا على الخير، مجبولًا عليه، وهذا كأَشَجِّ عبد القيس، الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم:" إنَّ فيك خَصْلَتَيْن يحبُّهما الله ورسوله؛ الحِلْمُ والأناة" فقال: أشيءٌ تخلَّقْتُ به أم جُبِلْتُ عليه يا رسول الله؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا؛ بل جُبِلْتَ عليه"، فقال:" الحمدُ لله، الذي جَبَلَنِي على خَصْلَتَيْن يحبُّهما الله ورسوله" رواه مسلم(١).

وإما أن يحاول المسلم أن يجاهد نفسه حتى يتحلَّى بهذه الصفة العظيمة، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" ليس الشَّديدُ بالصُّرَعَة، ولكنَّ الشَّديدَ الذي يملك نفسَه عندَ الغضبِ" رواه البخاريُّ ومسلم(٢).

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ– رحمه الله–: مَن اتَّصف بالحلم والأناة كان حكيمًا، ولهذا فالغضوب لا يصلح أن يكون مُعالِجًا للأمور، بل يحتاج إلى أن يهدأ حتى يكون حكيمًا(٣).

والخلاصة: ما أحوجَنا إلى التحلِّي بهذا الخلق الفضيل، والسلوك القويم؛ حتى نكون من الذين يُنعِم عليهم الخالقُ عزَّ وجلَّ بالثواب العظيم، فقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إذا جمع الله الخلائق؛ نادى منادٍ: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم ناس وهم يسير، فينطلقون سراعًا إلى الجنة، فتتلقَّاهم الملائكة فيقولون: ما فضلُكم؟ فيقولون: كنَّا إذا ظُلمنا صَبرْنا، وإذا أُسيء إلينا حلُمنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين" رواه البيهقي وابن أبي الدنيا(٤).

لَا يُدرِكُ المجدَ أقوامٌ وَإِنْ كَرُمُوا ... حـتَّى يَـذِلُّوا وإنْ عَـزُّوا لأقـوَامِ
ويُشتَموا فترى الألوانَ مُسـفِرَةً ... لَا صَفحَ ذُلٍّ ولكنْ صفحُ أحْلَامِ(٥)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٨) برقم (١٧) كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٨) برقم (٦١١٤) كتاب الأدب باب الحذر من الغضب. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠١٤) برقم (٢٦٠٩) كتاب البر والصلة والآداب باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب.

(٣) ينظر: من أقوال السلف في الحلم والرفق، فهد بن عبد العزيز بن عبد االله الشويرخ. ينظر موقع صيد الفوائد http://www.saaid.net/Doat/alshwairek/١٩٥.htm.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الحلم (ص: ٥١) برقم (٥٦). وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ١٤٠). والبيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٤٢٢) برقم (٧٧٣١). والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٤/ ٣٨٧). الحلم، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: محمد عبد القادر أحمد عطا، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

(٥) ينظر: الحلم لابن أبي الدنيا (ص: ٥٤).



١٠ جمادى الأولى

التودد

التَّودُّد لغةً: من الوُدِّ، وهو مصدر المَوَدَّة، وهو الحُبُّ. ويكون في جميع مداخل الخير، والتوادُّ التحابُّ. وتَودَّدَ إليه: تَحَبَّبَ. وتَوَدَّدَه: اجْتَلَبَ وُدَّه(١).

ومعنى التَّودُّد اصطلاحًا: هو طلب مَوَدَّة الأكفاء بما يوجب ذلك(٢).

وقال ابن حجر: هو تقرُّب شخصٍ من آخر بما يُحِبُّ. وقال ابن أبي جمرة: التَّوَادُد هو التَّواصل الجالب للمحبَّة(٣).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ- رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" الاقْتِصَادُ فِي النَّفَقَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ، وَالتَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ، وَحُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ" رواه الطبراني(٤).

وقال ابن الأثير: الودود في أسماء الله تعالى فعول بمعنى مفعول، من الوُدِّ والمحبَّة، فالله تعالى ودودٌ أي: محبوبٌ في قلوب أوليائه، أو هو فعول بمعنى فاعل، أي يُحبُّ عباده الصالحين بمعنى يرضى عنهم(٥). قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾(٦).

قال عمر- رضي الله عنه-: ثلاثٌ يُصفينَ لك وُدَّ أخيك: أن تُسلِّمَ عليه إذا لقيتَه أوَّلًا، وتُوسِّعَ له في المجلس، وتدعوه بأحبِّ أسمائه إليه(٧).

---

(١) ينظر: لسان العرب (٣/ ٤٥٣). لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

(٢) التعريفات (ص: ٧١).

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٣٩).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٢٥) برقم (٦٧٤٤). والبيهقي في شعب الإيمان (٨/ ٥٠٤) برقم (٦١٤٨). والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١/ ٢٩٠).

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٦٥). النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٦) البروج: ١٤.

(٧) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ١٩٢) برقم (٨٣٦٩). والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٤٨٥) برقم (٥٨١٥). والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف الجامع الصغير (٣/ ٢٩٤). صحيح وضعيف الجامع الصغير، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.



وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(١).

قيل لابن عقيل: أسمعُ وصيةَ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(٢)، وأسمعُ النَّاسَ يَعُدُّون مَن يُظهِرُ خلافَ ما يُبطِنُ مُنافقًا، فكيف لي بطاعة الله تعالى، والتَّخلُّص من النِّفاق؟ فقال: النِّفاق هو إظهار الجميل وإبطان القبيح، وإضمار الشَّر مع إظهار الخير لإيقاع الشَّر. والذي تضمَّنتْه الآية: إظهار الحُسن في مقابلة القبيح لاستدعاء الحسن(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٤). لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا أي: تستأنسوا بها، وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً أي: محبَّة، وَرَحْمَةً يعني: الولد.

وقال السدي: المودَّة: المحبَّة، والرحمة: الشفقة، ورُوي معناه عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال : المودَّة حُبُّ الرجُلِ امرأتَه، والرحمة رحمته إياها أن يُصيبها بسوء(٥).

وقال الطبري: وقوله:﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ يقول: جعل بينكم بالمصاهرة والخُتُونة؛ مَوَدَّة تتوادُّون بها، وتتواصلون مِن أجلها، وَرَحْمَةً رحمكم بها، فعطف بعضكم بذلك على بعض(٦).

وقال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ (٧). عن مجاهد قال: يُحبُّهم ويُحبِّبُهم إلى المؤمنين(٨).

وعن النُّعمان بن بَشير- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم؛ مثَلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ؛ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى" رواه البخاري ومسلم(٩).

---

(١) فصلت: ٣٤.

(٢) فصلت: ٣٤.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٥١). الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب.

(٤) الروم: ٢١.

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧).

(٦) تفسير الطبري = جامع البيان (٢٠/ ٨٦).

(٧) مريم: ٩٦.

(٨) تفسير الطبري = جامع البيان (١٨/ ٢٦٢).

(٩) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠) برقم (٦٠١١) كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٩) برقم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.



ففي هذا الحديث: تعظيم حقوق المسلمين، والحضُّ على تعاونهم، وملاطفة بعضهم بعضًا.

وعن معقل بن يسار– رضي الله عنه– قال: جاء رجُلٌ إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إِنِّي أصبتُ امرأةً ذاتَ حسبٍ وجمالٍ، وإنَّها لا تلدُ، أفأتزوجُها؟ قال: لا. ثم أتاه الثَّانية فنهاه، ثم أتاه الثَّالثة، فقال: تزوَّجوا الوَدُود الولود؛ فإِنِّي مكاثرٌ بكم الأمم. رواه أبو داود(١).

والوَلُود: كثيرة الولد، والوَدُود: المَوْدُودَة، لما هي عليه من حُسْن الخُلُق، والتَّوَدُّد إلى الزَّوج.

وعن أبي هريرة– رضي الله عنه–: أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله؛ إنَّ لي قرابةً أصِلُهم ويقطعوني، وأُحسنُ إليهم ويُسيئون إليَّ، وأَحْلُم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال:" لئن كنتَ كما قلتَ فكأنَّما تُسِفُّهم الملَّ، ولا يزال معك مِن الله ظهيرٌ عليهم ما دُمتَ على ذلك" رواه مُسلمٌ(٢).

فأيَّده النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم على تَوَدُّدِه إليهم، وإن لم يجدْ منهم مُقابلًا لما يقوم به إلَّا الإساءة إليه.

وعن عبد الله بن عمر– رضي الله عنهما– أنَّ رجلًا من الأعراب لقيه بطريق مكَّة، فسلَّم عليه عبد الله، وحمله على حمارٍ كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقيل له: أصلحك الله، إنَّهم الأعراب، وإنَّهم يرضون باليسير، فقال عبد الله: إنَّ أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطَّاب، وإِنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الولدِ أهلَ وُدِّ أبيه" رواه مسلم(٣).

قال النَّووي: (إنَّ أبا هذا كان وُدًّا لعمر) قال القاضي: رويناه بضم الواو وكسرها، أي: صديقًا من أهل مَوَدَّته، وهي محبَّتُه. وقوله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الولدِ أهلَ وُدِّ أبيه"، وفي رواية: "إنَّ مِن أَبَرِّ البِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أهلَ وُدِّ أبيه بعد أنْ يُوَلِّيَ"، الوُدُّ هنا مضموم الواو، وفي هذا فضل صِلَة أصدقاء الأب، والإحسان إليهم وإكرامهم، وهو متضمِّنٌ لبِرِّ الأب وإكرامه؛ لكونه بسببه، وتلتحق به أصدقاء الأُمِّ والأجداد والمشايخ، والزَّوج والزَّوجة(٤).

لذا كان الصَّحابة– رضي الله عنهم– حريصين على أن يتَّصفوا بهذه الصِّفة، فهذا أبو هريرة– رضي الله عنه– يأتي النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ليدعو له أن يُحبِّبَه هو وأمَّه إلى المؤمنين، ويُحبِّب المؤمنين إليهم، فقال: يا رسول الله؛ ادعُ الله أن يُحبِّبني أنا وأمِّي إلى عباده المؤمنين، ويُحبِّبهم إلينا. قال:

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٢٢٠) برقم (٢٠٥٠) كتاب النكاح باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء. والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ١٦٠) برقم (٥٣٢٣) كتاب النكاح، النهي عن تزويج المرأة التي لا تلد. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٥/ ٥٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٢) برقم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٧٩) برقم (٢٥٥٢) كتاب البر والصلة والآداب باب صلة أصدقاء الأب والأم، ونحوهما.

(٤) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٠٩). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.



فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" اللهمَّ حبِّب عُبَيدك هذا- يعني أبا هريرة- وأمَّه إلى عبادك المؤمنين، وحبِّب إليهم المؤمنين". فما خُلِقَ مؤمنٌ يسمعُ بي ولا يراني إلَّا أحبَّني. رواه مسلم[(١)].

وسُئل الحسن عن حُسن الخُلُق فقال: الكرم، والبذلة، والتَّودُّد إلى النَّاس[(٢)].

وعن ميمون بن مهران قال: المروءة طلاقة الوجه، والتَّودُّد إلى النَّاس، وقضاء الحوائج[(٣)].

والخلاصة: أنَّ التودُّد نوعان:

١- تودُّد محمود: وهو ما كان ناشئًا من محبَّة مُعتدلة لأهل الخير والصلاح.

٢- تودُّد مذموم: وهو التودُّد إلى الكفَّار والظالمين وفسقة الناس.

قال المنصور أمير المؤمنين لابنه المهدي: اعلمْ أنَّ رضاءَ النَّاس غايةٌ لا تُدرَك، فتحبَّبْ إليهم بالإحسان جهدَكَ، وتودَّدْ إليهم بالإفضال، واقصدْ بإفضالك موضع الحاجة منهم[(٤)].

تغـيَّرتِ الأحبـةُ والإخـاءُ وَقَـلَّ الصِّـدقُ وانقطـعَ الرَّجـاءُ
وأسـلمَني الزَّمـانُ إلى صـديقٍ كثـيرِ الغـدرِ لـيسَ لَـهُ وَفـاءُ
يُـديمونَ المـوَدَّةَ مَـا رَأوني ويبقـى الـوُدُّ مـا بقِـيَ اللِّقـاءُ
وكـلُّ مَـوَدَّةٍ للهِ تصـفو ولا يصـفو على الخلـقِ الإخـاءُ
وكـلُّ جراحـةٍ فلها دواءٌ وخُلُـقُ السُّـوءِ لـيس لـه دواءُ[(٥)]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٣٨) برقم (٢٤٩١) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم صحيح باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه الإخوان (ص: ٢١٢). الإخوان، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

(٣) المروءة (ص: ٧٠). المروءة، تصنيف: أبي بكر محمد بن خلف بن المرزبان المتوفى سنة ٣٠٩هـ، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢٣٥). روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

(٥) مفيد العلوم ومبيد الهموم (ص: ٢٧٠). مفيد العلوم ومبيد الهموم، المؤلف: ينسب لأبي بكر الخوارزمي محمد بن العباس (المتوفى: ٣٨٣هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، عام النشر: ١٤١٨هـ.

١١ جمادى الأولى

التغافل

سُئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: أين نجد العافية؟ فقال: تسعة أعشار العافية في التغافُل عن الزلات، ثم قال: بل هي العافية كلُّها[١].

فالتغافل: حبٌّ واحترام، لا تجاهل ولا إهمال ولا ازدراء. ويحكي القرآن الكريم عن قمة الرُّقي في التغافل، فيقول الله تعالى عن إخوة نبي الله يوسف- عليه السلام-:﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾[٢]، فهاهو يوسف البريء يتغافل عن اتهامه بالسرقة، لأنه يريد حبَّ إخوته وكسب قلوبهم، مع قدرته على الردِّ، فالتغافل قوَّةٌ لا ضعف.

وكفَّار قريش يشتمون النبيَّ الكريم صلى الله عليه وسلم وينادونه مُذمَّمًا، فما كان منه إلَّا أن قال:" أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؛ يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ" رواه البخاري[٣]. فأصحاب النفوس الراقية والهمم العالية يتغافلون؛ لأنَّ لهم أهدافًا عُظمى يريدون تحقيقها.
أيضًا ممَّا أرشدنا إليه ديننا الحنيف في قوله تعالى:﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[٤]، والجاهل: هو السفيه الذي لا يَزِنُ الكلام، ولا يضع الكلمة في موضعها، ولا يُدرك مقاييس الأمور، لا في الخُلُقِ ولا في الأدب.

قال السعدي: ومَن تغافل عن عيوب الناس وأمسك لسانه عن تتبُّع أحوالهم التي لا يُحبُّون إظهارها؛ سلم دينه وعرْضه[٥].

---

(١) ينظر: شعب الإيمان (١٠/ ٥٧٥).

(٢) يوسف: ٧٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨٥) برقم (٣٥٣٣) كتاب المناقب باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٤) الفرقان: ٦٣.

(٥) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية والخطب المنبرية على المناسبات (ص: ١١١). الفواكه الشهية في الخطب المنبرية والخطب المنبرية على المناسبات، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.



ويقول ابن الجوزي: ما يزال التغافُل عن الزَّلَّات من أرقى شيم الكرام، فإنَّ الناس مجبولون على الزَّلَّات والأخطاء، فإنِ اهتمَّ المرء بكلِّ زلَّةٍ وخطيئةٍ تعبَ وأتعبَ، والعاقل الذَّكيُّ مَن لا يُدقّقُ في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ؛ مع أهله وأحبابه، وأصحابه وزملائه، وجيرانه، كي تحلو مُجالستُه، وتصفو عشرتُه(١).

وقد قيل عن التغافُل: هو أن تغُضَّ الطرف عن الهفوات، وألا تُحصي السيئات، وأن تترفَّع عن الصغائر، ولا تُركِّز على اصطياد السلبيات، فهو فنٌّ راقٍ لا يُتقنه إلَّا مُحترفو السعادة، وقد قالت العرب قديمًا:

لَيْسَ الْغَبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ ... لكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ المتَغَابِي(٢)

أَي: المتَغَافِل.

وقد كان التغافُل خُلُقَ النبى صلى الله عليه وسلم، ومن الأمثلة والشواهد على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٣)، أي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة- رضي الله عنها- ببعض ما أخبرتْ به عائشة - رضي الله عنه-ا مُعاتبًا لها، ولم يُخبرها بجميع ما حصل منها؛ حياءً منه وكرمًا.

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-: مَن لم يتغافلْ تنغَّصتْ عيشتُه.

وقد قال عيسى- عليه السلام- للحواريين: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائمًا وقد كشف الريحُ ثوبَه عنه؟ قالوا: نسترُه ونُغطِّيه، قال: بل تكشفون عورته، قالوا: سبحان الله، مَن يفعل هذا؟ فقال: أحدُكم يسمعُ بالكلمة في أخيه، فيزيد عليها، ويشيعها بأعظم منها(٤).

تَغافَلْ في الأمُورِ ولَا تُناقِشْ ... فيقْطعَكَ القريبُ وذو المودة(٥)

---

(١) ذكر بعضهم أنه في صفة الصفوة لابن الجوزي، ولم أقف عليه فيه والله أعلم.

(٢) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٨/ ٢٥، بترقيم الشاملة آليا).

(٣) التحريم: ٣.

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين (٢/ ١٧٨).

(٥) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥/ ٥٥٤). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت – لبنان ص. ب ١٠، الطبعة: الجزء: ١ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢ – الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٣ – الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٤ – الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٥ – الطبعة: ١، ١٩٩٧.



يقول ابن الأثير مُتحدِّثًا عن صلاح الدين الأيوبي: وكان صبورًا على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، يسمع مِن أحدهم ما يكره، ولا يُعلِّقُ رغم ذلك ولا يتغيَّرُ عليه(١).

وعن أحد الحكماء: أنَّ رجلًا جاءه فقال له: فلانٌ شتمك في أحد المجالس، فردَّ عليه: إن كان فلانٌ رماني بسهمٍ فلم يُصبني، فلماذا حملتَ السهمَ وغرستَه في قلبي؟!(٢)

قال القائل:

ولقدْ أمرُّ على السفيهِ يَسبُّنِي   فمضيتُ ثمةَ قلتُ: لَا يَعنيني(٣)

وقال معاوية- رضي الله عنه-: العقل مكيال: ثلثه الفطنة، وثلثاه التغافل(٤).

وهذا قدوتنا ورسولنا صلى الله عليه وسلم يُعلِّمنا هذا الأدب العظيم؛ فيقول لأصحابه:" لَا يُبلِّغني أحدٌ عن أحدٍ شيئًا؛ فإنِّي أحبُّ أن أخرجَ إليكم وأنا سليم الصدر" رواه أبو داود(٥).

فلم يكن صلى الله عليه وسلم يتتبَّع زلَّات أصحابه، أو يبحث عن أخطائهم؛ بل كان ينهى عن التجسُّس، وعن تتبُّع العورات، وتفسير المقاصد، ولم يرض أن يُخبره أحدٌ عن أحدٍ شيئًا؛ حتى يبقى صدره سليمًا مُحبًّا لهم جميعًا.

فالذي يتغافل عن الزلَّات يعيش مُحبًّا لمن حوله، محبوبًا منهم، سليم الصدر من الأحقاد والأضغان؛ ولهذا كانت العافية كلُّها في التغافل.

قال أنسُ بنُ مالكٍ- رضي الله عنه-: " خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي: أُفٍّ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟ رواه البخاري ومسلم(٦).

---

(١) ينظر: التاريخ المعتبر في أنباء من غبر (٢/ ١٠٠). التاريخ المعتبر في أنباء من غبر «وهو كتاب جامع لتاريخ الأنبياء وتاريخ الإسلام وتراجم أئمته العظام إلى مبتدأ القرن العاشر الهجري»، المؤلف: مجير الدين العليمي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي (المولود بالقدس سنة ٨٦٠ هـ والمتوفى بها سنة ٩٢٨ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، إشراف: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١١ م.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ينظر: تحقيق الفوائد الغياثية (١/ ٣١٦). تحقيق الفوائد الغياثية، المؤلف: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦ هـ)، تحقيق ودراسة: د. علي بن دخيل الله بن عجيان العوفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

(٤) العقد الفريد (٢/ ١٠٥).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٣٠١) برقم (٣٧٥٩). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٦٥) برقم (٤٨٦٠) كتاب الأدب باب في رفع الحديث من المجلس. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٦٠).

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٤) برقم (٦٠٣٨) كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٤) برقم (٢٣٠٩) كتاب الفضائل باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا.



وتغافلْ عن أمورٍ إنَّه لم يَفُزْ بالحمدِ إلَّا مَن غَفل[١]

قال الإمام الغزاليُّ: سَتْرُ الْعُيُوبِ وَالتَّجَاهُلُ والتغافلُ عنها؛ شيمةُ أهلِ الدِّينِ[٢].

جاءتِ امرأةٌ فسألتْ حاتِمًا عن مسألةٍ، فخرجَ منها صوتٌ في تلك الحالة، فَخَجِلَتْ، فقال حاتمٌ: ارفعِي صوتَكِ، فأوهَمَها أنه أصمُّ، فَسُرَّتِ المرأةُ بذلك، وقالتْ: إنَّه لم يسمع الصوتَ، فلُقِّب بـ"حاتم الأصمّ"[٣].

الخلاصة: أنَّ التغافُلَ خُلُقٌ كريمٌ، فكم نحن بحاجة إليه في حياتنا اليوميَّة، كثيرٌ من الخلافات والمشاكل التي تقع بين الزوجين؛ سببُها أنَّ الزوج يُعاتب زوجته على كلِّ خطأ، والزوجة كذلك تتتبَّع زلَّات زوجها، وتتصيَّد عليه الهفوات، وكثيرٌ من حالات الطلاق كان هذا سببها.

ولو أنَّ كلًّا منهما تغافل عن زلَّات صاحبه، وغضَّ طرفَه عن هفواته؛ لاستدامت لهم العِشرة، وبقيت بينهم المودة؛ لكنهم حين فقدوا التغافل حصل ما حصل.

تَغَافَــلْ في الأُمُــورِ وَلَا تُكثِــرْ تَقصِّــيها فَالاستقصــاءُ فرقَــهْ
وسَامِحْ في حقوقِكَ بعضَ شيءٍ فمَا اســـتوفى كريمٌ قطُّ حقَّهْ[٤]

---

(١) من لامية ابن الوردي. ينظر مجموعة القصائد الزهديات (٢/ ١٤٣).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ١٧٨).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٢٨).

(٤) بدائع السلك في طبائع الملك (١/ ٥١٠). بدائع السلك في طبائع الملك، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (المتوفى: ٨٩٦هـ)، المحقق: د. علي سامي النشار، الناشر: وزارة الإعلام – العراق، الطبعة: الأولى.

١٢ جمادى الأولى

الحياء

المسلم عفيفٌ حيي، والحياء خُلُقٌ له، والحياء من الإيمان، والإيمان عقيدة المسلم وقوام حياته، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شُعبة؛ فأفضلُها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان" رواه البخاري ومسلم(١).

وسرُّ كون الحياء من الإيمان أن كلًّا منهما داعٍ إلى الخير، صارفٌ عن الشر، مُبعِدٌ عنه، فالإيمان يبعث المؤمن على فعل الطاعات وترْك المعاصي، والحياء يمنع صاحبه من التقصير في الشكر للمُنعم، ومن التفريط في حقِّ ذي الحقِّ، كما يمنع الحيي مِن فعل القبيح؛ اتِّقاء للذمِّ والملامة، ومن هنا كان الحياء خيرًا، ولا يأتي إلَّا بخير، كما صحَّ ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله:" الحياء لا يأتي إلَّا بخير" رواه البخاري ومسلم(٢).

إذا قَلَّ ماءُ الوجهِ قَلَّ حَياؤُهُ ... ولا خيرَ في وجْهٍ إذا قَلَّ مَاؤُهُ
حَيَاءَكَ فاحفظْهُ عليكَ وإنَّمَا ... يَدلُّ على فعلِ الكريمِ حَيَاؤُهُ(٣)

ويُعرَفُ الحياءُ: بأنَّه خُلُقٌ يبعث على ترْك القبيح، ويمنع من التقصير في حقٍّ من الحقوق(٤)، وهو خُلُقٌ جميلٌ يدعو إلى التحلِّي بالفضائل، والبُعد عن الرذائل، والحياءُ من الحياة، ومنه الحيا للمطر، وقِلَّةُ الحياءِ من موت القلب والروح، وكلَّما كان القلبُ أحيا كان الحياءُ أتمَّ.

قال الفضيل بن عياض: خمس علاماتٍ من الشقاوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلَّة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١) برقم (٩) كتاب الإيمان باب أمور الإيمان. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٣) برقم (٣٥) كتاب الإيمان باب شعب الإيمان.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٩) برقم (٦١١٧) كتاب الأدب باب الحياء. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٤) برقم (٣٧) كتاب الإيمان باب شعب الإيمان.

(٣) لباب الآداب لأسامة بن منقذ (١/ ٢٨٥) إلا أنه قدم البيت الثاني وأخّر الأول.

(٤) ينظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٧/ ٤٨٩). توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلوُغ المَرَام، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (المتوفى: ١٤٢٣هـ)، الناشر: مكتَبة الأسدي، مكّة المكرّمة، الطبعة: الخامِسَة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ١٨٢) برقم (٧٣٥٤).



والمسلم إذ يدعو إلى المحافظة على خُلُق الحياء في الناس وتنميته فيهم؛ إنَّما يدعو إلى خيرٍ، ويُرشِد إلى برٍّ؛ إذ الحياء من الإيمان، والإيمان مَجْمَع كُلِّ الفضائل، وفي الصحيح من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مرَّ على رجُلٍ من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعْه؛ فإنَّ الحياء من الإيمان"(١). فدعا بذلك إلى الإبقاء على الحياء في المسلم، ونهى عن إزالته؛ ولو منع صاحبه من استيفاء بعض حقوقه، إذ ضياع بعض حقوق المرء خيرٌ له من أن يفقد الحياء الذي هو جزءُ إيمانِهِ، وميزة إنسانيته، ورحم الله امرأة كانت قد فقدتْ طفلها، فوقفتْ على قومٍ تسألُهم عن طفلها، فقال أحدُهم: تسألُ عن ولدِها وهي مُنتقبة!! فسمعتْه فقالتْ: لئن أرزأ في ولدي خيرٌ لي من أرزأ في حيائي(٢).

ولم يمنع الحياء الصحابية الجليلة أم سليم الأنصارية- رضي الله عنها- أن تقول: يا رسول الله؛ إنَّ الله لا يستحيي من الحق؛ فهل على المرأة مِن غُسْلٍ إذا هي احتلمتْ؟ فيقول لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمنعه الحياء من جوابها:" نعم، إذا رأتِ الماء" رواه البخاري ومسلم(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ ممَّا أدرك الناس من كلام النبوة الأولى؛ يا ابن آدم؛ إذا لم تستحي فاصنعْ ما شئت" رواه البخاري(٤).

إذا لمْ تخشَ عاقبةَ الليالي ... ولمْ تستحي فاصنعْ ما تشاءُ
فلا واللهِ ما في العيشِ خيرٌ ... ولا الدُّنيا إذا ذهبَ الحَيَاءُ
يعيشُ المرءُ مَا استحيا بخيرٍ ... ويبقى العودُ ما بَقِي اللحَاء(٥)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٤) برقم (٢٤) كتاب الإيمان باب الحياء من الإيمان. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٣) برقم (٣٦) كتاب الإيمان باب شعب الإيمان.

(٢) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/ ٩٦٦). معرفة الصحابة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٦٤) برقم (٢٨٢) كتاب الغسل باب إذا احتلمت المرأة. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٥١) برقم (٣١٣) كتاب الحيض باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٧) برقم (٣٤٨٣) كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار.

(٥) الإشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا (ص: ٣٠٦). الإشراف في منازل الأشراف، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: د نجم عبد الرحمن خلف، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

قال أبو الحسن الماوردي: والحياء في الإنسان قد يكون من ثلاثة أوجه؛ أحدها: حياؤه من الله تعالى، والثاني : حياؤه من الناس، والثالث: حياؤه من نفسه.

فأما حياؤه من الله تعالى فيكون بامتثال أوامره والكفِّ عن زواجره، كما روى ابن مسعود- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" استحيوا من الله عزَّ وجلَّ حقَّ الحياء، قيل: يا رسول الله؛ فكيف نستحي من الله عزَّ وجلَّ حقَّ الحياء؟ قال: مَن حفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وترَك زينة الحياة الدنيا، وذكر الموت والبلى؛ فقد استحيا من الله عزَّ وجلَّ حقَّ الحياء" رواه أحمد والترمذي(١). وهذا الحديث من أبلغ الوصايا.

وأما حياؤه من الناس: فيكون بكفِّ الأذى، وترْك المجاهرة بالقبيح، وقد رُوي أن حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- أتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا، فتنكَّب الطريق عن الناس، وقال: لا خيرَ فيمَن لا يستحيي من الناس.

وأما حياؤه من نفسه: فيكون بالعفَّة وصيانة الخلوات. وقال بعض الحكماء: ليكن استحياؤك مِن نفسك أكثرَ من استحيائك مِن غيرك(٢).

وبيَّن ابن القيم- رحمه الله- أفضلية خُلُقِ الحياء بقوله: وخُلقُ الحياءِ من أفضل الأخلاق وأجلِّها، وأعظمِها قدرًا، وأكثرِها نفعًا، بل هو خاصَّة الإنسانية، فمَنْ لا حياءَ فيه ليس معه من الإنسانية إلَّا اللحم والدم وصورتهم الظاهرة، كما أنَّه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخُلق لم يُقْرَ الضيف، ولم يُوفَ بالوعد، ولم تُؤدَّ الأمانة، ولم يُقض لأحدٍ حاجة(٣).

ومن فضائل الحياء: أنَّه من صفات الله سبحانه وتعالى، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ، فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا، أَوْ خَائِبَتَيْنِ" رواه ابن ماجه(٤).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٦/ ١٨٧) برقم (٣٦٧١). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٣٧) برقم (٢٤٥٨) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٤٥٨).

(٢) ينظر: أدب الدنيا والدين (ص: ٢٤٨).

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٧٧). مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٧٨) برقم (١٤٨٨) باب تفريع أبواب الوتر باب الدعاء. والترمذي في جامعه (٥/ ٥٥٦) برقم (٣٥٥٦) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧١) برقم (٣٨٦٥) كتاب الدعاء باب رفع اليدين في الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣/ ٤٨٨).



وقال ابن القيم- رحمه الله- أيضًا: وأمَّا حياءُ الربِّ تعالى مِن عبده فنوعٌ آخَر، لا تُدركُه الأفهام، ولا تُكيِّفُه العقول؛ فإنَّه حياءُ كرمٍ وبرٍّ وجودٍ، فإنَّه تبارك وتعالى حييٌّ كريمٌ، يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يرُدَّهما صِفرًا، ويستحيي أن يُعذِّب ذا شيبةٍ شابتْ في الإسلام[١].

والحياءُ من خُلُقِ الملائكة والأنبياء والصالحين: قال النبي صلى الله عليه وسلم في عثمان- رضي الله عنه-:" أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟" رواه مسلم[٢]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ؛ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ" رواه البخاري[٣].

وقد اتَّصف نبيُّنا الكريم صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة الجليلة، فقد وصفه أبو سعيدٍ الخدري- رضي الله عنه- بقوله:" كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ" رواه البخاري ومسلم[٤].

والحياء خُلُق الإسلام، وبه يتميَّز المسلمون عن غيرهم؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الْحَيَاءُ» رواه ابن ماجه[٥].

والخلاصة: أنَّ الحياء خُلُقٌ جميلٌ وأصيلٌ، وهو إن كان في الرجال جميلًا؛ فهو في النساء أجمل؛ لأنَّه لها أستر وأكمل، قال الله تعالى: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾[٦]. أي:مُستحْيِيَة في مشيها، غير مُتبخترة، ولا مُظهِرة زينة، فهذا يدلُّ على كريم عنصرها، وخُلُقِها الحسن؛ فإنَّ الحياء من الأخلاق الحسنة، وخصوصًا في النساء.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٥٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٦٦) برقم (٢٤٠١) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٥٦) برقم (٣٤٠٤) كتاب الغسل باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٦) برقم (٦١٠٢) كتاب الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٩) برقم (٢٣٢٠) كتاب الفضائل باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٩٩) برقم (٤١٨١) كتاب الزهد باب الحياء. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ١٨١). سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

(٦) القصص: ٢٥.

١٣ جمادى الأولى

الرفق

الرفق لغةً: ضد العنْف، وهو لين الجانب، ويقال: رَفَق به أي لان له جانبه وحسن صنيعه.

ومعنى الرِّفق اصطلاحًا كما قال ابن حجر: هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف[١].

وقال القاري: هو المداراة مع الرفقاء، ولين الجانب، واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها[٢].

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيش الرفق ويتمثَّل به في سائر أحواله وشؤون حياته كما قالت أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-:" ما خُيِّرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أمرَينِ قطُّ إلَّا أخذ أيسرهما؛ ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناسِ منه" متفق عليه[٣].

وقد ثبت ذلك عنه في مجالات كثيرة منها:

١- الرفق مع الأهل: قالت عائشة- رضي الله عنها-:" ما ضرب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- شيئًا قطُّ بيده ولا امرأة ولا خادمًا؛ إلَّا أن يُجاهد في سبيل الله، وما نيل شيءٌ منه قطُّ فينتقم من صاحبه؛ إلَّا أن يُنتهك شيءٌ من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى" رواه مسلم[٤].

٢- الرفق مع الخادم: فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال:" خدمتُ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عشر سنين، والله ما قال لي: أفٍّ قطُّ، ولا قال لي لشيءٍ: لمَ فعلتَ كذا؟ وهلا فعلتَ كذا" رواه مسلم[٥].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٤٩).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣١٧٠). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨٩) برقم (٣٥٦٠) كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٣) برقم (٢٣٢٧) كتاب الفضائل باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٤) برقم (٢٣٢٨) كتاب الفضائل باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٤) برقم (٦٠٣٨) كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٤) برقم (٢٣٠٩) كتاب الفضائل باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا.



٣- الرفق مع الأطفال: فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت:" كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يُؤتَى بالصبيان، فيُبرِّك عليهم، ويُحنِّكهم ويدعو لهم" رواه البخاري(١).

وعن أنس- رضي الله عنه- قال:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور الأنصار، ويُسلِّم على صبيانهم، ويمسح على رؤوسهم" رواه النسائي(٢). وكان دائمًا ما يُقبِّل الحسن والحُسين ويُلاعبهما. وحمل أمامة بنت زينب في الصلاة رفقًا بها.

٤- الرفق مع السائل: قال أنس- رضي الله عنه-:" كنتُ أمشي مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة، فنظرتُ إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أثَّرتْ بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد؛ مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفتَ إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء" متفق عليه(٣).

٥- الرفق في تعليم الجاهل: عن معاوية بن الحكم السلمي- رضي الله عنه- يقول:" بينا أنا أصلِّي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ عطس رجلٌ من القوم، فقلتُ: يرحمُكَ الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلتُ: واثكل أميَّاه، ما شأنكم تنظرون إليَّ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتُهم يُصمِّتونني لكني سكتُّ، فلما صلَّى النبي صلى الله عليه وسلم، فبأبي هو وأمي، ما رأيتُ مُعلِّمًا قبله ولا بعده أحسنَ تعليمًا منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني، ولا شتمني، قال: إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنَّما هو التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن" رواه مسلم(٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦٩١) برقم (٢١٤٧) كتاب الآداب باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه، وجواز تسميته يوم ولادته، واستحباب التسمية بعبد الله وإبراهيم وسائر أسماء الأنبياء عليهم السلام. دون قوله (ويدعو له). ولم أقف عليه بهذا اللفظ عند البخاري. فالله أعلم

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٣١) برقم (١٠٠٨٨) كتاب عمل اليوم والليلة التسليم على الصبيان، والدعاء لهم وممازحتهم.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٩٤) برقم (٣١٤٩) كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٣٠) برقم (١٠٥٧) كتاب الزكاة باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٨١) برقم (٥٣٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته.



٦- الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: عن أَبي هريرة- رضي الله عنه- قَالَ: بَالَ أعرابيٌّ في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:" دعوه وأريقوا على بوله سجلًا من ماء، أو ذنوبًا من ماء، إنَّما بُعثتم مُيسِّرين، ولم تُبعثوا مُعسِّرين" رواه البخاري(١).

٧- الرفق مع العاصي التائب: عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّه قال:" بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل، فقال: يا رسول الله؛ هلكتُ، قال: ما لك؟ قال: وقعتُ على امرأتي وأنا صائم، فقال صلى الله عليه وسلم: هل تجد رقبة تُعتقها؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكينًا؟ قال: لا، فمكث النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: فبينما نحن على ذلك؛ أُتي النبي صلى الله عليه وسلم بعرقٍ فيه تمرٌ، والعرق المكتل، فقال: أين السائل؟ فقال: أنا، فقال: خذه فتصدَّق به" متفق عليه(٢).

وكذلك رفقه صلى الله عليه وسلم مع الرجل الذي قبَّل امرأة وجاء نادمًا، فبيَّن له أن الصلاة كفَّارةٌ لذنبه، ولم يُعنِّف عليه، وهذا ثابتٌ في الصحيح(٣).

٨- الرفق في التعامل مع الكفَّار: فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت:" دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليك، ففهمتُها فقلتُ: عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مهلًا يا عائشة؛ فإنَّ الله يُحبُّ الرفق في الأمر كلِّه، فقلتُ: يا رسول الله؛ أوَلم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقد قلتُ: عليكم" متفق عليه(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٤) برقم (٢٢٠) كتاب الوضوء باب صب الماء على البول في المسجد.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٢) برقم (١٩٣٦) كتاب الصوم باب إذا جامع في رمضان، ولم يكن له شيء، فتصدق عليه فليكفر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٨١) برقم (١١١١) كتاب الصيام باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم، ووجوب الكفارة الكبرى فيه وبيانها، وأنها تجب على الموسر والمعسر وتثبت في ذمة المعسر حتى يستطيع.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١١) برقم (٥٢٦) كتاب مواقيت الصلاة باب الصلاة كفارة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١١٥) برقم (٢٧٦٣) كتاب التوبة باب قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤]. ولفظه عند البخاري: عن ابن مسعود، أن رجلا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره فأنزل الله عز وجل: ﴿أقم الصلاة [ص:١١٢] طرفي النهار وزلفا من الليل، إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤] فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا؟ قال: «لجميع أمتي كلهم».

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٢) برقم (٦٠٢٤) كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٦) برقم (١١١١) كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم.



٩- الرفق بالناس في العبادات: قال جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما-:" أقبل رجلٌ بناضِحَينِ وقد جنح الليل فوافق مُعاذًا يُصلِّي، فترك ناضحه وأقبل إلى مُعاذ، فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل وبَلَغَه أنَّ مُعاذًا نال منه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فَشَكَا إليه مُعاذًا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا مُعاذ؛ أفتَّانٌ أنت أو فاتن ثلاث مرار، فلولا صلَّيتَ بـ" سبح اسم ربك" "والشمس وضحاها" "والليل إذا يغشى"، فإنَّه يُصلِّي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة" متفق عليه(١).

وعن أنس- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إِنِّي لأدخلُ الصلاةَ أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأخفِّف من شدَّة وجْد أمِّه به" رواه مسلم(٢).

وعن عائشة- رضي الله عنها- قالتْ:" سمعتُ مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا: اللهمَّ مَن ولي مِن أمر أمَّتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشقق عليه، ومَن ولي مِن أمر أمَّتي شيئًا فرفق بهم فارفق به" رواه مسلم(٣).

يقول الشيخ العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله- في شرحه لهذا الحديث: قد يظنُّ بعض النَّاس أنَّ معنى الرِّفق أن تأتي للناس على ما يشتهون ويريدون، وليس الأمر كذلك، بل الرِّفق أن تسير بالنَّاس حسب أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأن تسلك أقرب الطرق وأرفق الطرق بالنَّاس، ولا تشق عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإن شققت عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ فإنَّك تدخل في الطرف الثاني من الحديث، وهو الدعاء عليك بأن يشق الله عليك(٤).

خُـذِ الأمـورَ برفـقٍ واتئـدْ أبـدًا ... إياكَ مِـن عَجَـلٍ يـدعو إلى وَصَـبِ
الرفقُ أحسنُ ما تُؤتَى الأمورُ به ... يُصيبُ ذو الرفقِ أو ينجو مِن العَطَبِ(٥)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٤٢) برقم (٧٠٥) كتاب الأذان باب من شكا إمامه إذا طول. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٣٩) برقم (٤٦٥) كتاب الصلاة باب القراءة في العشاء.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٤٣) برقم (٧٠٧) كتاب الأذان باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٤٣) برقم (٤٧٠) كتاب الصلاة باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٥٨) برقم (١٨٢٨) كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم.

(٤) شرح رياض الصالحين (٣/ ٦٣٤).

(٥) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥/ ٥٨٢).



والخلاصة: على المسلم أن يتحلَّى بخُلُق الرفق، ففيه الخير كلُّه، عن أبي الدرداء- رضي الله عنه- عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" مَن أُعطي حظَّه من الرِّفق فقد أُعطي حظَّه مِن الخير، ومَن حُرِمَ حظَّه مِن الرِّفق حُرِمَ حظَّه من الخير" رواه الترمذي[1].

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٦٧) برقم (٢٠١٣) أبواب البر والصلة باب ما جاء في الرفق. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ١٣).



١٤ جمادى الأولى

الستر

السَّتر لغة: هو تَغَطية الشَّيء، وهو مصدَر سَتَر الشَّيء يَسْتُرُه أي: غَطَّاهُ أو أخفاهُ، وكلُّ شَيْء سَتَرْتَه فالشَّيء مَسْتُور، والذي تَسْتُرُه به سِتْرٌ له، والسِّتْرُ والسُّتْرَةُ والمسْتَرُ والسِّتَارُ والسِّتَارَةُ: ما يُستتَر به. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا﴾[١].

والمراد بالسَّتْر في الاصطلاح هو: السَّتْرُ على المسلم إن وقع في معصية، شريطة أن لا يُعلنها ويجهر بها، وقالوا أيضًا: السَّتْرُ هو إخفاء العيب، وعدم إظهاره، فمن كان معروفًا بالاستقامة، وحصل منه الوقوع في المعصية؛ نُوصِح وسُتِر عليه.

والستر معناه أيضًا: تغطية المسلم عيوبه وإخفاء هناته، وعدم كشفها للناس مع طلب التوبة والندم عليها[٢]، وها هي أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- جاءتْها امرأةٌ، فأخبرتْها أنَّ رجلًا قد أخذ بساقها وهي مُحرِمة- أي حاول كشف عورتها- فقاطعتْها عائشةُ- رضي الله عنها- وأعرضتْ بوجهها، وقالتْ: يا نساءَ المؤمنين؛ إذا أذنبتْ إحداكُنَّ ذنبًا، فلا تُخبِرَنَّ به النَّاس، ولتستغفر الله، ولتتبْ إليه؛ فإنَّ العباد يُعيِّرونَ ولا يُغيِّرون، والله يُغَيِّر ولا يُعيِّر[٣].

ومن صفات الله تعالى أنه سِتِّير، يحب الستر على عباده، وهذا من كمال رحمته سبحانه ومن تمام فضله، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾[٤]، وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[٥].

---

(١) الكهف: ٩٠.

(٢) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٦/ ٢٢٣٥).

(٣) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص: ١٥٣) برقم (٤٥١). مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، المؤلف: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

(٤) الشورى: ٢٥.

(٥) الشورى: ٣٠.



رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ، فَصَعِدَ صلى الله عليه وسلم الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ:" إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ" رواه أبو داود والنسائي(١).

وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ- رضى الله عنهما- آخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أي رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ؛ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢). رواه البُخَارِي ومسلم(٣).

قال ابن القيم- رحمه الله- في نونيَّته:

وهـو الحَيِـيُّ فَلَـيس يَفْضَـحُ عنـدَ التَّجَـاهُرِ مِنْـهُ بالعِصْـيَانِ
عَبْدَهُ لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ فَهْوَ السَّتِيرُ وصَاحِبُ الغُفْرَانِ(٤)

ويُستحبُّ لمن وقع في معصيةٍ وندمَ؛ أن يُبادر إلى التوبة منها ولا يُخبر أحدًا، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ،

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٤٠) برقم (٤٠١٢) كتاب الحمام باب النهي عن التعري. النسائي في سننه (١/ ٢٠٠) برقم (٤٠٦) كتاب الغسل والتيمم باب الاستتار عند الاغتسال. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٢/ ٥٠). المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦. صحيح وضعيف سنن النسائي، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب : برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٢) هود: ١٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٨) برقم (٢٤٤١) كتاب المظالم والغصب باب قول الله تعالى: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ [هود: ١٨]. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٢٠) برقم (٢٧٦٨) كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله.

(٤) نونية ابن القيم = الكافية الشافية (ص: ٢٠٧). متن القصيدة النونية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ.



فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ" رواه البخاري ومسلم(١).

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها، فمَن ألَمَّ بشيءٍ منها فليستترْ بستر الله، ولْيتبْ إلى الله، فإنَّه مَن يُبدِ لنا صفحته نُقِمْ عليه كتابَ الله" رواه الحاكم والبيهقي وصححه الألباني(٢).

ويُروى أنهم أتوا إلى عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- برجُلٍ قد سرق، فقال هذا السارق: أستحلفك بالله أن تعفو عني فإنَّها أول مرة، فقال عمر- رضي الله عنه-: كذبتَ ليستْ هي المرة الأولى، فأراد الرجل أن تُثار الظنون حول عمر فقال له: أكنتَ تعلم الغيب؟ فقال عمر- رضي الله عنه-: لا؛ ولكني علمتُ أنَّ الله لا يفضح عبده من أول مرة، فقُطعتْ يدُ الرجُلِ فتبعه عليُّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- فقال: أستحلفُك بالله؛ أهي أوَّل مرَّةٍ؟ فقال: واللهِ إنَّها هي الحادية والعشرون(٣).

والستر على أهل المعاصي وعدم تتبُّع سقطاتهم من صفات المؤمنين الصالحين، ومن حقوق الأُخوَّة الإسلامية، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" رواه الْبُخَارِي ومسلم(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٠) برقم (٦٠٦٩) كتاب الأدب باب ستر المؤمن على نفسه. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩١) برقم (٢٩٩٠) كتاب الزهد والرقائق باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٤٢٥) برقم (٨١٥٨). والبيهقي في السنن الكبرى (١٧/ ٥١٤) برقم (١٧٦٣٧). السنن الكبير، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحُسَين بن عليّ البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (الدكتور / عبد السند حسن يمامة)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٢٦٧).

(٣) لم أقف عليه في كتب الحديث والتخريج، فالله أعلم. وقد ذكره د/ بدر عبد الحميد هميسة في كلمة له بعنوان: الستر على العاصي أخلاق وضوابط. http://www.saaid.net/Doat/hamesabadr/١٩٧.htm

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٨) برقم (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٦) برقم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.



وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ:" لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا؛ إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" رواه مسلم(١).

ومعنى الستر هنا عامٌّ لا يتقيَّد بالستر البدني فقط، أو الستر المعنوي فقط، بل يشملهما جميعًا، فمَن ستَر مسلمًا ستَرَه الله في الدنيا والآخرة؛ ستَر بدنه كأن رأى منه عورة مكشوفة فستَرَها، أو رأتْ امرأة شيئًا من جسد أختها مكشوفًا غير منتبهةٍ إليه فغطَّتْه، وسَتَرَه معنويًّا فلم يُظهِر عيبه، فلم يسمح لأحدٍ أن يغتابه ولا أن يذمَّه، مَن فعل ذلك ستَرَه الله في الدنيا والآخرة، فلم يفضحْه بإظهار عيوبه وذنوبه.

وقال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: والمراد بالستر: هو إخفاء العيب، ولكن الستر لا يكون محمودًا إلَّا إذا كان فيه مصلحة ولم يتضمَّن مفسدة، فمثلًا: المجرم إذا أجرم لا نستر عليه إذا كان معروفًا بالشر والفساد، ولكن الرجُلَ الذي يكون مُستقيمًا في ظاهره، ثم فعل ما لا يحلُّ؛ فهنا قد يكون الستر مطلوبًا، فالستر يُنظَر فيه إلى المصلحة، فالإنسان المعروف بالشر والفساد لا ينبغي ستره، والإنسان المستقيم في ظاهره، ولكن جرى منه ما جرى؛ هذا هو الذي يُسنُّ سترُه(٢).

الخلاصة: كان لعقبة بن عامر- رضي الله عنه- كاتب، وكان جيران هذا الكاتب يشربون الخمر، فقال يومًا لعقبة: إنَّ لنا جيرانًا يشربون الخمر، وسأبلغ الشرطة ليأخذوهم، فقال له عقبة: لا تفعل، وعِظْهُمْ. فقال الكاتب: إنِّي نهيتُهم فلم ينتهوا، وأنا داعٍ لهم الشرطة ليأخذوهم، فهذا أفضل عقابٍ لهم. فقال له عقبة: ويحك، لا تفعلْ؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:" مَن رأى عورةً فسترها؛ كان كمَن أحيا موءودةً" رواه أحمد وأبو داود(٣).

ثَلاثُ خصالٍ للصَّديقِ جعلتُها	مُضَـــارِعَةً للصَّـــومِ والصَّـــلوَاتِ
مُواسَــــاتُه والصَّفحُ عن عثراتِهِ	وترْكُ ابتذالِ السِّرِّ في الخلوَاتِ(٤)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠٢) برقم (٢٥٩٠) كتاب البر والصلة والآداب باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا، بأن يستر عليه في الآخرة.

(٢) ذكر غير واحد أن هذا الكلام في شرح الشيخ رحمه الله على الأربعين النووية، ولم أقف عليه في شرحه رحمه الله. فالله أعلم.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٨/ ٦١٧) برقم (١٧٣٩٥). قال الألباني: "ضعيف مضطرب الإسناد. ((الضعيفة)) (١٢٦٥)، والمرفوع ثابت دون قوله: ((في قبرها)). ((الضعيفة)) (٢٨٠٨)" التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٣). التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية.

(٤) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة (ص: ٥٣). آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، المؤلف: محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، أبو البركات، بدر الدين ابن رضي الدين (المتوفى: ٩٨٤هـ)، عني بتحقيقه: الدكتور عمر موسى باشا، الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، عام النشر: ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م.

١٥ جمادى الأولى

الرحمة

جعل الله الرحمة مائة جزء، وأنزل لنا في هذه الأرض رحمة واحدة نتراحم بها؛ كما ورد في حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" جعلَ اللَّهُ الرّحْمَةَ مِائةَ جُزءٍ، فَأَمسكَ عِندهُ تِسعَة وَتسعِينَ، وَأَنزلَ في الأَرض جُزءًا وَاحدًا، فمِنْ ذَلكَ الْجزءِ يَتَراحمُ الخلائِقُ، حتى تَرفعُ الدَّابةُ حَافِرها عن ولدِها خشيةَ أن تصيبه" رواه مسلم(١).

وكلَّما كان العبد أرقَّ فؤادًا، وأعظم نفعًا لعباد الله، وأكمل إحسانًا في عبادة الله، كان نصيبه أعظم وأوفر من رحمة الله؛ ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٢)، ومتى فتح الله أبواب رحمته؛ فلا ممسك لها، ومتى أمسكها فلا مرسل لها؛ ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (٣).

وكان صلى الله عليه وسلم يُرغِّب بالرحمة دائمًا، ويُعمِّقها في نفوس المسلمين والمسلمات، فعن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" الراحمُونَ يَرحمُهُم الرحمنُ، ارْحَموا مَنْ في الأرض يرحمْكُم من في السَّماءِ" أخرجه الترمذي(٤)، وكان عليه الصلاة والسلام مثالاً فذًّا للرحمة الخالصة الشفافة، فقد قالت عائشة- رضي الله عنها-: جاء أعرابيٌّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أتُقبّلون الصبيان؟ فما نُقبِّلهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أَوَأَمْلِكُ لكَ أن نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرحمةَ " رواه البخاري(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨) برقم (٦٠٠٠) كتاب الأدب باب: جعل الله الرحمة مائة جزء. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٨) برقم (٢٧٥٢) كتاب الرقاق باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٢) الأعراف: ٥٦.

(٣) فاطر: ٢.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٢٤) برقم (١٩٢٤) أبواب البر والصلة باب ما جاء في رحمة المسلمين. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ٤٢٤).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧) برقم (٥٩٩٨) كتاب الأدب باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٨) برقم (٢٣١٧) كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.



وكذلك قبَّل صلى الله عليه وسلم الحسن بن عليٍّ وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إنَّ لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ واحدًا منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن لا يَرحم لا يُرحَم" متفق عليه(١).

لقد علَّم صلى الله عليه وسلم أصحابه هذا الخُلُق العظيم، وجعله من دلائل الكمال؛ ليتراحموا فيما بينهم، ولتتذوَّق قلوبهم نداوة الرحمة.

فالمؤمن أو المؤمنة يتميز كلٌّ منهما بقلبٍ مُرهفٍ، ليِّن رحيم، يلقى الناس جميعًا، فيرِقُّ للضعيف، ويتألَّم للحزين، ويحنو على المسكين، ويمدُّ يده للملهوف، مُوقنًا أنَّ رحمة الله لا تناله إلَّا برحمة الناس؛ "إنَّما يرحمُ اللهُ مِنْ عِباده الرحماءَ" رواه البخاري(٢).

وإنَّ الذي يتجرَّد من الرحمة؛ فهو في عداد الأشقياء، يستحقُّ سَخَطَ الله، يقول- صلى الله عليه وسلم-:" لا تُنْزَعُ الرحمةُ إلَّا مِن شقيٍّ" رواه الترمذي(٣).

وكان من رحمة أويس القرني بالفقراء أنَّه كان يَتَصَدَّقُ بما في بيته ثم يدعو: اللهُمَّ مَنْ ماتَ جُوعًا فلا تُؤاخذني به، ومن مات عُريانًا فلا تُؤاخذني به(٤).

بَادِرْ إلَى الخَيرِ يَا ذَا اللُّبِّ مُغتنِمًا ... وَلَا تكُنْ مِن قليلِ العُرفِ مُحتشِمَا
واشكرْ لمولاكَ مَا أولاكَ مِن نِعَمٍ ... فالشُّكرُ يَستوجبُ الإفضَالَ والكَرَمَا
وارْحَمْ بقلبِكَ خَلْقَ اللهِ وارعَهُمُ ... فإنَّما يَرحَمُ الرحْمَنُ مَنْ رَحِمَا(٥)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧) برقم (٥٩٩٧) كتاب الأدب باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٨) برقم (٢٣١٨) كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٧٩) برقم (١٢٨٤) كتاب الجنائز باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه» إذا كان النوح من سنته ". ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٣٥) برقم (٩٢٣) كتاب الجنائز باب البكاء على الميت.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٣/ ٣٧٨) برقم (٨٠٠١). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٨٦) برقم (٤٩٤٢) كتاب الأدب باب في الرحمة. والترمذي في جامعه (٤/ ٣٢٣) برقم (١٩٢٣) أبواب البر والصلة باب ما جاء في رحمة المسلمين. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ٤٢٣).

(٤) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٨٧)

(٥) ينظر: الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة (ص: ٥٩). الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة، المؤلف: محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (المتوفى: ١١٥٠هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد رضا، الناشر: البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.



وقد شملتْ رحمتُه البهائمَ: حيث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطًا لرجلٍ من الأنصار، فإذا جملٌ، فلمَّا رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم حنَّ وذرفتْ عيناه، فأتاه النبيُّ صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكتَ، فقال: مَن ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال:" أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها، فإنَّه شكا إليَّ أنَّك تُجيعه وتدئبه" رواه أبو داود(١).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن رحمة الخلق بعضهم لبعض؛ شرط لاكتمال الإيمان؛ فعن أبي موسى الأشعري– رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لَنْ تُؤْمِنُوا حتى تراحمُوا، قالوا: يا رسولَ اللهِ؛ كلُّنا رَحِيمٌ. قال: إنَّهُ ليس بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ صاحبَهُ، ولكِنَّها رَحْمَةُ العامَّةِ" رواه الطبراني(٢).

وقالَ سُبحانَهُ وتعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣).

وقدَّم اللهُ سُبحانَهُ الوصف بِالتَّراحُمِ عَلَى الوصفِ بِالرُّكوعِ والسُّجودِ، حيث قال سُبحانَهُ وتعالى واصِفًا نَبيَّهُ الكَريمَ صلى الله عليه وسلم وصَحبَهُ المؤمِنينَ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(٤).

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٣/ ٢٣) برقم (٢٥٤٩) كتاب الجهاد باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٦/ ٤٩).

(٢) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٣٠٩) برقم (٢٣٥٤). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٣٢١). مسند الشاميين، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٤.

(٣) الأعراف: ١٥٦، ١٥٧.

(٤) الفتح: ٢٩.



فلِماذا يا أُمَّة الإسلامِ والإيمانِ؟ ليبَيّنَ لِلأُمّة أن لا خَيرَ في أُناسٍ يَركَعونَ ويَسجُدونَ، فإذا خَرَجوا مِن مَساجِدِهم تَشاحَّوا وتَظالَموا، ولم يَتَسامَحوا بَينَهُم، ولم يَتَراحَموا، إنَّ مَن يَفعَلُ هَذا فلَيسَ عَلَى طَريقة محمدٍ صلى الله عليه وسلم وأصحابِه، إنَّ مَن يَتَّصِفُ بهذا فلَيسَ عَلَى هَديِهم ولا سَبيلِهم، يُؤَكِّدُ هَذا الأمرَ الحَبيبُ صلى الله عليه وسلم ويُصَرّحُ بِه حَيثُ يَقولُ:" لَيسَ مِنّا مَن لمْ يَرحَمْ صَغيرَنا ويَعرِفْ حَقَّ كَبيرِنا" رواه أبو داود والترمذي[١].

وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم:" أهل الجنة ثلاثة"... الحديث، وفيه:" ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلب لكلِّ ذي قربى ومُسلم"[٢].

وعن أبي هريرة– رضي الله عنه– عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" بيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عليه العَطَشُ، فَوَجَدَ بئْرًا فَنَزَلَ فيها، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فإذا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فقالَ الرَّجُلُ: لقَدْ بَلَغَ هذا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الذي كانَ بَلَغَ بي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أمْسَكَهُ بفِيهِ، فَسَقَى الكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ له فَغَفَرَ له" رواه البخاري[٣].

قال ابنُ القيّم– رحمه الله–: ومن رحمته سبحانه؛ ابتلاء الخلق بالأوامر والنَّواهي رحمة لهم وحميَّة، لا حاجة منه إليهم بما أمرهم به. ومن رحمته: أن نغَّص عليهم الدُّنيا وكدَّرها؛ لئلَّا يسكنوا إليها، ولا يطمئنّوا إليها، ويرغبوا عن النعيم المقيم في داره وجواره[٤].

قال سفيان بن عيينة: خلق الله النار رحمةً يُخوِّف بها عباده لينتهوا[٥].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٣٤٥) برقم (٦٧٣٣). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٨٦) برقم (٤٩٤٣) كتاب الأدب باب في الرحمة. والترمذي في جامعه (٤/ ٣٢١) برقم (١٩١٩) أبواب البر والصلة باب ما جاء في رحمة الصبيان. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ٤١٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٧) برقم (٢٨٦٥) كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٢) برقم (٢٤٦٦) كتاب المظالم والغصب باب الآبار على الطرق إذا لم يتأذ به. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٦١) برقم (٢٢٤٤) كتاب السلام باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها.

(٤) ينظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ١٧٥). إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٢٧٥).



وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" لما خلق الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إنَّ رحمتي تغلب غضبي" رواه البخاري ومسلم(١).

والخلاصة: علينا أن ندعو بما دعا به أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز- رحمه الله-: اللهمَّ إن لم أكن أهلًا أن أبلغ رحمتك؛ فإنَّ رحمتك أهلٌ أن تبلغني، رحمتك وسعتْ كلَّ شيءٍ، وأنا شيء، فلْتسعْني رحمتُك يا أرحم الراحمين. اللهمَّ إنَّك خلقتَ قومًا فأطاعوك فيما أمرتَهم، وعملوا في الذي خلقتَهم له، فرحمتُك إيَّاهم كانتْ قبل طاعتِهم لك يا أرحم الراحمين(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٠٦) برقم (٣١٩٤) كتاب بدء الخلق باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ [الروم: ٢٧]. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٧) برقم (٢٧٥١) كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٢٩٩).

١٦ جمادى الأولى

غزوة ذات الرقاع

غزوة ذات الرقاع هي غزوة قام بها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الرابعة للهجرة ضد بني ثعلبة وبني محارب من غطفان بعد أن بلغه أنَّهم يعُدُّون العُدَّة لغزو المدينة فخرج إليهم في أربعمائة من المسلمين، وقيل: في سبعمائة، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان، وقيل: أبا ذر الغفاري- رضي الله عنهما-.

وكان الهدف الرئيس من خروج النبيّ صلى الله عليه وسلم بجيشه بعد الانتهاء من يهود خيبر وطردهم من ديارهم؛ هو تأديب قبيلة غطفان المتمادية في عداء الإسلام والمسلمين، وأيضًا حتى لا تعتقد غطفان وغيرها من القبائل العربية أنَّ المسلمين يهابونهم؛ خاصةً بعد تحالفهم مع بني سُليم في غزوة بني سُليم، وأيضًا لنشر الأمن والأمان وإيقاف أعمال النهب والسلب التي كانت تقوم بها تلك القبيلة من جهةٍ أخرى، ولهذه الأسباب مجتمعةً قرَّر الرسول- صلى الله عليه وسلم غزو ديار غطفان ومبادرتهم بالقتال؛ خاصةً بعد أن علم بنيَّتهم المبيَّتة لغزو المدينة المنوَّرة.

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم بجيشه من المدينة، واتَّضحت- منذ البداية- الصعوباتُ التي تنتظرهم، فهناك نقصٌ شديد في عدد الرواحل، حتَّى أنَّ السِتَّة والسَّبعة من الرِّجال كانوا يتوالَون على ركوب البعير. وممَّا زاد الأمرَ سوءًا وُعُورةُ الأرض وكثرةُ أحجارها الحادَّة، التي أثَّرت على أقدامهم حتَّى تمزَّقت خفافهم، وسقطت أظفارهم، فقاموا بلفِّ الخِرَق والجلود على الأرجل؛ ومن هنا جاءت تسمية هذه الغزوة بهذا الاسم، ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- قال: وكنا نلفُّ على أرجلنا الخِرَق، فسُمِّيتْ غزوة ذات الرقاع[١].

سارَ النبيُّ محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم مُتوغِّلًا في بلادهم حتَّى وصل إلى موضع يقال له نَخْل، ولقي جمعًا من غطفان، إلَّا أنَّه صلَّى بالصحابة صلاة الخوف لأول مرة في الإسلام، فعن جابر- رضي الله عنه- قال:" خرج النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى ذات الرقاع من نَخْلٍ، فلقي جمعًا من غطفان، فلم يكن قتال، وأخاف الناسُ بعضُهم بعضًا، فصلَّى النبيُّ صلى الله عليه وسلم ركعتَي الخوف" رواه البخاري[٢].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١١٣) برقم (٤١٢٨) كتاب المغازي باب غزوة ذات الرقاع. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٤٩) برقم (١٨١٦) كتاب الجهاد والسير باب غزوة ذات الرقاع.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١١٣) برقم (٤١٢٧) كتاب المغازي باب غزوة ذات الرقاع.



فلمَّا علمتْ قبائل غطفان بقدوم المسلمين انسحبت فلم يقع قتال، وعاد المسلمون منتصرين. وفي طريق العودة اشتدَّ الحرُّ عليهم، وجاء وقت القيلولة فنزلوا في وادٍ كثير الأشجار، وتفرَّق المسلمون يستظلُّون فيه. وقد نام الرسول صلى الله عليه وسلم تحت شجرة وعلَّق سيفه بها، فإذا بأعرابيٍّ يأتي فيأخذ السيف، فشعر به الرسول صلى الله عليه وسلم، واستيقظ من نومه، فقال الأعرابي: مَن يمنعُك مني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله. وإذا بالأعرابيِّ يرتعد ويسقط السيف من يده، فأخذه النبيُّ صلى الله عليه وسلم ثم عفا عن الأعرابي وتركه. متفق عليه[(١)].

وقد نزل في هذه الحادثة قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[(٢)]. وفي رواية أخرى:" أنَّ رجلًا من مُحارب يُقال له: غَوْرَث بن الحارث؛ قال لقومه من بني غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم مُحمَّدًا؟ قالوا: نعم، وكيف تقتله؟ قال: أَفتِك به. فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيفه في حِجره، فقال: يا محمد؛ أنظرُ إلى سيفك هذا. قال: نعم. (فأخذه) فاستلَّه، ثم جعل يهزُّه ويهمُّ به فيكبته الله عزَّ وجلَّ، ثم قال: يا محمد؛ ألا تخافني؟! قال: لا. قال: ألا تخافني وفي يدي السيف؟! قال: يمنعني الله منك. ثم أغمد السيف وردَّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله هذه الآية. نقلًا من سيرة ابن هشام ج ٣ / ٢١٦[(٣)].

وفي رواية ثالثة نذكرها لما فيها من فوائد: نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرَّق الناس يستظلُّون بالشجر، فجاء أحد الأعراب ليجد النبيَّ صلى الله عليه وسلم نائمًا قد علَّق سيفه، والصحابة مُتفرِّقون في الوادي ، فأخذ الأعرابيُّ سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف على رأسه وقال له: مَن يمنعُك منِّي؟ وفي ظنِّه أنَّه قد تمكَّن من النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولم يعلم أنَّ الله قد عصمه من الناس وتكفَّل بحفظه ورعايته، فأجابه النبيُّ صلى الله عليه وسلم بكلِّ ثقةٍ ويقينٍ: الله، فلم يتمالك الأعرابيُّ نفسه، وأخذته الرجفة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١١٤) برقم (٤١٣٥) كتاب المغازي باب غزوة ذات الرقاع. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨٦) برقم (٨٤٣) كتاب الفضائل باب توكله على الله تعالى، وعصمة الله تعالى له من الناس.

(٢) المائدة: ١١.

(٣) ينظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٣). السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.



حتى سقط السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: مَن يمنعُك مني؟ فاعتذر الرجُلُ للنبيّ صلى الله عليه وسلم ورجاه أن يتركه، فقالَ: كُن خيرَ آخِذٍ، فقال له صلى الله عليه وسلم: أتشهد أن لا إله إلَّا الله؟ قال: لا، ولكنّي أُعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قومٍ يقاتلونك، فأطلق سراحه، وترَك هذا العفو أثرًا كبيرًا في نفس الأعرابيّ، حتَّى أنَّه عاد لقومه وهو يقول: قد جئتُكم مِن عند خير الناس. رواه أحمد(١). وقد ذكر الواقدي في نحو هذه القصَّة: وأنَّه أسلم وأنَّه رجع إلى قومه فاهتدى به خلقٌ كثيرٌ(٢). ووقع في رواية ابن إسحاق: ثم أسلم بعدُ.

وفي طريق عودته، ومع حلول الليل، فرض النبيُّ صلى الله عليه وسلم حراسةً على المعسكر، واختار لهذه المهمَّة رجلًا من المهاجرين ورجلًا من الأنصار، وهما عبَّاد بن بشر وعمَّار بن ياسر- رضي الله عنهما-، ولْنتركِ الصحابي الجليل جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ- رضي الله عنهما- يحكي لنا ما حدث فيقول: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِى غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ، فَأُصِيبَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَافِلًا وَجَاءَ زَوْجُهَا وَكَانَ غَائِبًا فَحَلَفَ أَنْ لَا يَنْتَهِىَ حَتَّى يُهَرِيقَ دَمًا فِى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَنَزَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَنْزِلًا فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ؟ فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَا: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَكُونُوا بِفَمِ الشِّعْبِ. قَالَ: وَكَانُوا قَدْ نَزَلُوا إِلَى شِعْبٍ مِنَ الْوَادِى، فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ قَالَ الأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ: أَيُّ اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيَكَهُ أَوَّلَهُ أَوْ آخِرَهُ؟ قَالَ: اكْفِنِى أَوَّلَهُ. فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِىُّ فَنَامَ، وَقَامَ الأَنْصَارِىُّ يُصَلِّى، وَأَتَى الرَّجُلُ فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةُ الْقَوْمِ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا، ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا، ثُمَّ عَادَ لَهُ بِثَالِثٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ فَقَالَ: اجْلِسْ فَقَدْ أُوتِيتُ. فَوَثَبَ فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنْ قَدْ نَذِرُوا بِهِ فَهَرَبَ، فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِىُّ مَا بِالأَنْصَارِىِّ مِنَ الدِّمَاءِ؛ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَلَا أَهْبَبْتَنِى. قَالَ: كُنْتُ فِى سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنْفِذَهَا. فَلَمَّا تَابَعَ عَلَىَّ الرَّمْىَ رَكَعْتُ

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ١٩٣) برقم (١٤٩٢٩).

(٢) ينظر: مغازي الواقدي (١/ ١٩٥). المغازي، المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٩/١٩٨٩.



فَأُرِيتُكَ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْلَا أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِحِفْظِهِ؛ لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أُنْفِذَهَ. رواه أحمد[١].

وفي انصرافه صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوة أبطأ جمل جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- به، فنخسه النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فانطلق مُتقدِّمًا بين يدي الركاب، ثم قال: أتبيعنيه؟ فابتاعه منه، وقال له: لك ظهرُه إلى المدينة، فلما وصل إلى المدينة أعطاه الثمن، ووهب له الجمل[٢].

والخلاصة: هكذا انتهت أحداث هذه الغزوة، وقذف الله الرعب في قلوب أولئك الأعراب، فلم تجرؤ القبائل من غطفان ولا غيرها أن ترفع رأسها بعد ذلك، حتى شاء الله لها أن تُسلم لاحقًا لتشارك في فتح مكة وغزوة حُنينٍ.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ٥١) برقم (١٤٧٠٤). وأبو داود في سننه (١/ ٦٠) برقم (١٩٨) كتاب الطهارة باب الوضوء من الدم. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١/ ٢٧٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٨٩) برقم (٢٧١٨) كتاب الشروط باب إذا اشترط البائع ظهر الدابة إلى مكان مسمى جاز. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٢٣) برقم (٧١٥) كتاب المساقاة باب بيع البعير واستثناء ركوبه.

١٧ جمادى الأولى

سلامة الصدر

قال ابن الشَّوكاني: وأما سَلَامة الصَّدر، فالمراد به: عدم الحقد والغل والبغضاء(١).

فسليم القلب والصَّدر هو من سَلِم وعُوفِي فؤاده من جميع أمراض القلوب وأَدْوَائها، ومن كلِّ آفة تُبعده عن الله تبارك وتعالى.

قال ابن رجب: أفضل الأعمال سَلَامة الصَّدر من أنواع الشَّحْناء كلِّها، وأفضلها السَّلَامة من شحناء أهل الأهواء والبدع، التي تقتضي الطَّعن على سلف الأمَّة، وبُغضهم والحقد عليهم، واعتقاد تكفيرهم أو تبديعهم وتضليلهم، ثمَّ يلي ذلك سَلَامة القلب من الشَّحْناء لعموم المسلمين، وإرادة الخير لهم، ونصيحتهم، وأن يُحبَّ لهم ما يُحبُّ لنفسه، وقد وصف الله تعالى المؤمنين عمومًا بأنَّهم يقولون : ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾(٢)(٣).

وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يُبَلِّغُنِي أحدٌ من أصحابي عن أحدٍ شيئًا، فَإِنِّي أُحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سَلِيم الصَّدر" رواه أبو داود(٤).

والمعنى: أنَّه صلى الله عليه وسلم يتمنَّى أن يخرج من الدُّنيا وقلبه راضٍ عن أصحابه، من غير سخط على أحد منهم.

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: كنَّا جلوسًا مع الرَّسول صلى الله عليه وسلم فقال: يطلع عليكم الآن رجُلٌ من أهل الجنَّة، فطلع رجُلٌ من الأنصار، تَنْطِفُ لحيته من وضوئه، قد تَعَلَّق

---

(١) في السلوك الإسلامي القويم (ص: ١٢١). في السلوك الإسلامي القويم، المؤلف: ابن الشوكاني، أحمد بن محمد بن علي وهو ابن العلامة الشوكاني الكبير (المتوفى: ١٢٨١هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور حسين بن عبد الله العمري، الناشر: دار الفكر، دمشق – سورية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

(٢) الحشر: ١٠.

(٣) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٣٩٦). روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٣٠١) برقم (٣٧٥٩). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٦٥) برقم (٤٨٦٠) كتاب الأدب باب في رفع الحديث من المجلس. والترمذي في جامعه (٥/ ٧١٠) برقم (٣٨٩٦) أبواب المناقب باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٦٠).



نَعْلَيه في يده الشِّمال، فلمَّا كان الغدُ قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، فطلع ذلك الرَّجُل مثل المرَّة الأولى، فلمَّا كان اليوم الثَّالث قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرَّجُل على مثل حاله الأولى، فلمَّا قام النَّبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: إنِّي لَاحَيْتُ أبي فأقسمتُ ألَّا أدخلَ عليه ثلاثًا، فإن رأيتَ أن تُؤْوِيَني إليك حتَّى تمضي؛ فَعلتَ. فقال: نعم. قال أنس: وكان عبد الله يُحدِّث أنَّه باتَ معه تلك الليالي الثَّلاث، فلم يره يقوم من اللَّيل شيئًا، غير أنَّه إذا تعارَّ وتقلَّب على فراشه، ذَكَر الله عزَّ وجلَّ وكبَّر حتَّى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أنِّي لم أسمعه يقول إلَّا خيرًا. فلمَّا مضت الثَّلاث ليال، وكدت أن أحتقر عمله، قلتُ: يا عبد الله؛ إنِّي لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هَجْرٌ، ولكن سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث مِرَار: يطلع عليكم الآن رجُلٌ من أهل الجنَّة، فطلعتَ أنتَ الثَّلاث مِرَار، فأردتُ أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتديَ به، فلم أرك تعملُ كثيرَ عملٍ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما هو إلا ما رأيتَ؛ غير أنِّي لا أجدُ في نفسي لأحدٍ من المسلمين غِشًّا، ولا أحسد أحدًا على خيرٍ أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغتْ بك، وهي التي لا نُطيقُ. رواه أحمد[(١)].

وقال سفيان بن دينار: قلتُ لأبي بشير- وكان من أصحاب عليٍّ-: أخبرْني عن أعمال مَن كان قَبْلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيرًا، ويُؤْجَرون كثيرًا. قلتُ: ولِمَ ذاك؟ قال: لسَلَامة صدورهم[(٢)].

وعن زيد بن أسلم أنَّه دخل على ابن أبي دُجانة، وهو مريض، وكان وجهُهُ يتهلَّلُ، فقال له: ما لك يتهلَّلُ وجهُك؟ قال: ما من عملٍ شيءٍ أوثق عندي من اثنين: أمَّا أحدهما فكنتُ لا أتكلَّم بما لا يعنيني، وأمَّا الأُخرى: فكان قلبي للمسلمين سليمًا[(٣)].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ١٢٤) برقم (١٢٦٩٧). والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣١٨) برقم (١٠٦٣٣) كتاب عمل اليوم والليلة نوع آخر. والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١/ ٢٥).

(٢) الزهد لهناد بن السري (٢/ ٦٠٠). الزهد، المؤلف: أبو السَّرِي هَنَّاد بن السَّرِي بن مصعب بن أبي بكر بن شبر بن صعفوق بن عمرو بن زرارة بن عدس بن زيد التميمي الدارمي الكوفي (المتوفى: ٢٤٣هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦.

(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٥٥٧). الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.



ولقد راعى سلفنا الصالح هذا الأمر واهتمُّوا به أشدَّ الاهتمام، ومن تلك المواقف: رأى عليٌّ بن أبي طالب؛ طلحة بن عبيد الله- رضي الله عنهما- في وادٍ مُلقًى بعد وقعة الجمل التي كانت بين عليٍّ وبين عائشة وطلحة والزبير- رضي الله عنهم جميعًا-، فنزل فمسح التراب عن وجه طلحة، وقال: عزيزٌ عليَّ يا أبا محمدٍ أن أراك مُجندلًا في الأودية تحت نجوم السماء، إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري، ثم قال لابن طلحة: لَعلّي وأباك ممَّن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [1][2].

وهذا إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل- رحمه الله-، وقد أوذي وسُجِنَ وعذّب عذابًا شديدًا، لكنه بعد تلك المحنة يصفح عن كلِّ مَن أساء إليه أبَّان سجْنِه فيقول لأحدهم: "أنت في حِلٍّ، وكلُّ مَن ذكرني في حِلٍّ، إلَّا مُبتدع، وقد جعلتُ أبا إسحاق في حِلٍّ- يعني المعتصم أمير المؤمنين-، رأيتُ الله يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، وما ينفعك أن يُعذَّب أخوك المسلم بسببك؟[4]

وقيل له: نكتب عن محمد بن منصور الطوسي؟ قال: إذا لم تكتبْ عنه؛ فعمَّن يكون ذلك؟ قالها مرارًا، فقيل له: إنَّه يتكلم فيك، قال: رجُلٌ صالحٌ، ابتُلِي فينا؛ فما نعمل؟[5] فلم يمنعه كون الرجل يتكلَّم فيه مِن تزكيته، لأنَّ قلبه قد سلم من الغِلِّ والبغضاء والشحناء.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- فقد كان له موقفٌ من أعدائه وخصومه، حيث صفح عنهم وعفا قائلًا: لا أحبُّ أن يُنتصر مِن أحدٍ بسبب كذبه عليَّ أو ظلمه وعدوانه، فإنِّي قد أحللتُ كلَّ مُسلمٍ، والذين كتبوا وظلموا فهم في حِلٍّ من جهتي[6].

---

(١) الحجر: ٤٧.

(٢) ينظر: تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤/ ٤٠٢). تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الشهير بـ «الذهبي» (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ)، تحقيق: غنيم عباس غنيم - مجدي السيد أمين، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعه: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(٣) النور: ٢٢.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٦١). سير أعلام النبلاء، المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

(٥) ينظر: طبقات الحنابلة (١/ ١٩٦). طبقات الحنابلة، المؤلف: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

(٦) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٥).



وذكر تلميذه ابن القيم- رحمه الله-: أنَّه ما رأى أحدًا أجمع لخصال الصفح والعفو وسلامة الصدر من ابن تيمية، وأنَّ أحد تلاميذه بشَّره بموت أكبر أعدائه الذين آذوه، فنهره ابن تيمية وغضب عليه واسترجع وقام مِن فوره، فعزَّى أهل الميت، وقال لهم: إنِّي لكم مكانه(١). إذا كان هذا كذلك؛ فسلامة القلب والصدر ليست السذاجة والضعف، وليست هي القلب الذي يسهل خداعه والضحك عليه، كلا، بل إنَّ سلامة القلب كما قال ابن تيمية- رحمه الله-: القلب السليم المحمود هو الذي يريد الخير لا الشر، وكملُ ذلك بأن يعرف الخير والشرَّ، فأمَّا مَن لا يعرف الشرَّ فذاك نقصٌ فيه، لا يُمدَحُ به(٢).

وكان ابن مخلوف- وكان من أشدِّ الناس عداوة لابن تيمية، بل وأفتى بقتله- يقول: ما رأينا مثل ابن تيمية؛ حرَّضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا، ذلك أنَّ الأيام قد دارتْ، وتولَّى السلطان الناصر وقرَّب شيخ الإسلام، وأراد أن ينتقم له مِن أعدائه ممَّن أمر بسجنهم، ولكنَّه- رحمه الله- أبى ذلك، وقال: إن قتلتَهم مِن أين تأتي بمثلهم، وهم علماؤك. ونحو ذلك من الكلام حتَّى سكَّنه(٣).

الخلاصة: قال الفضيل بن عياض- رحمه الله-: ما أدرَكَ عندنا مَن أدرَكَ؛ بكثرة نوافل الصلاة والصيام، وإنَّما أدرَكَ عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمَّة(٤).

سامِحْ أخاك إذا خلطْ ... منه الإساءةَ بالغلطْ
وتجافَ عن تعنيفه ... إن زاغَ يومًا أوْ قسَطْ
واعلمْ بأنَّكَ إنْ طلبْتَ ... مُهذَّبًا رُمْتَ الشططْ
مَن ذا الذي مَا ساءَ قطْ ؟ ... ومَن له الحُسنى فقطْ؟(٥)

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٢١)؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٢٩). المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٠٢).

(٣) ينظر: البداية والنهاية (١٨/ ٩٥). البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ١٠٣).

(٥) مقامات الحريري (ص: ٢٢٩). مقامات الحريري، المؤلف: أبو محمد القاسم بن علي الحريري (المتوفى: ٥١٦هـ)، الناشر: مطبعة المعارف، بيروت، عام النشر: ١٨٧٣ م.

١٨ جمادى الأولى

التسامح

التسامح لغة من المسامحة، وهي المساهلة، والتسامح هو التساهل، أما في الاصطلاح فالتسامح هو: الصفح والعفو والإحسان، والذي يقابله التعصُّب والتطرُّف والغلو.

والتسامح هو التجاوز والعفو، وهو من دعائم العلاقات الإنسانية الإسلامية، قال تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(١).

ويعني أيضًا التسامح مع الغير في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها، التي تتجلَّى في التيسير وعدم القهر، وسماحة المسلمين التي تبدو في تعاملاتهم المختلفة سواء مع بعضهم أو مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ لَمْ يَصْفُ عَيْشُهُ ... وَمَا يَسْتَطِيبُ الْعَيْشَ إِلَّا الْمُسَامِحُ(٢)

فالتسامح له معنيان: الأول بمعنى العفو؛ كالعفو عن مبلغ من المال، أو مسامحة الشاتم وشبه هذا، والثاني بمعنى الملاطفة واللين والرفق، والبُعد عن التفحُّش، والغلظة والعنف.

والتسامح خُلُقٌ إسلاميٌّ أصيلٌ، رغَّب فيه الشرع، وحبَّب المكلَّفين فيه، وجعله منهاجًا لتعامُل المسلم مع إخوانه، ووردت الشريعة بعشرات النصوص المرغِّبة به. وقد ثبت في حديث جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى" رواه البخاري(٣).

أنواع التسامح:-

١- التسامح الديني: ومن مظاهره التعايش بين الأديان، وحرية ممارسة الشعائر الدينية، مع التخلِّي عن التعصُّب الديني.

٢- التسامح الفكري والثقافي: ومن مظاهره عدم التعصُّب للأفكار، واحترام أدب الحوار والتخاطُب.

٣- التسامح السياسي: ومن مظاهره مبدأ الديموقراطية، وضمان الحريات السياسية؛ الفردية منها والجماعية.

---

(١) المائدة: ١٣.

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان (٥/ ٥٩٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٧) برقم (٢٠٧٦) كتاب البيوع باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف.



٤- التسامح العرقي: ومن مظاهره تقبُّل الآخر؛ رغم اختلاف لونه أو عِرْقه، ونبْذ التمييز العنصري.

٥- التسامح في الحروب: فالقتال في الإسلام ليس مطلوبًا لذاته، ولم يُشرع القتال والحرب في الإسلام مِن أجل القتل نفسه، ولا من أجل إراقة الدم وإزهاق الروح، وإنما شُرِع القتال إمَّا من أجل دفع عدو صائل، أو تبليغ شرع الله. ويتجلَّى ذلك بأنَّ الإسلام نهى عن قتل غير المقاتِلين، فلو كان القتالُ لأجل القتل؛ لما كان للنهي عن قتْل هؤلاء معنى، فلو كانت الغاية من الجهاد هي القتل، لما كانت للحروب عند المسلمين آداب، ولما قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" انطلقوا بسمِ اللَّهِ، وباللَّهِ، وعلى مِلَّةِ رسولِ اللهِ، لا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلًا صغيرًا، ولا امرأةً، ولا تغلُّوا، وضمُّوا غنائمَكم، وأصلحوا، وأحسنوا؛ فإنَّ اللَّهَ يحبُّ المحسنينَ" رواه أبو داود[(١)].

والتسامح في الإسلام مندوبٌ باتفاق العلماء، وليس بواجب، فلا يجب على من له حقٌّ مادِّيٌّ أو معنويٌّ أن يُسامح، فهو إن شاء عفا، وإن شاء استردَّ حقوقه كاملة، ولكن الملاطفة والملاينة في التعامل مع الآخرين فهي واجبة، ولا يجوز للمسلم أن يكون فظًّا غليظًا، ولا عنيفًا، ولا فاحشًا، ولا مُتفحِّشًا.

ولا تعرف البشرية دينًا أطول باعًا في التسامح والتصالح مع الآخر من الإسلام، وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا أفضل الأمثلة على التسامح، فعاش مع أصحاب الديانات الآخرى، وقد أمَّنهم على مُعتقداتهم، وعباداتهم، ومعابدهم، وطقوسهم، وصلبانهم، وترَكهم يُمارسون شعائرهم، دون حرج ولا ضيق.

وقد أمر الله تعالى المسلمين بالتعايُش مع أصحاب الديانات الأخرى؛ بالتعايش السلميِّ معهم ومُلاطفتهم والتودُّد إليهم، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [(٢)].

وقد محا الإسلام الجاهلية وما فيها من مُحرَّمات وأباطيل، ومنها العصبية العرقية أو الإقليمية أي سواء كانت بسبب بياض الشخص أو سواده، أم لأنَّه عربي أو أعجمي، أم لأنَّ هذا من الشرق أو مِن الغرب، وقد أوضح الاسلام أنَّه لا فرق بين عربي ولا أعجمي؛ إلَّا بالتقوى. وكلُّهم سواسية

(١) رواه أبو داود في سننه (٣/ ٣٧) برقم (٢٦١٤) كتاب الجهاد باب في دعاء المشركين. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٦/ ١١٤).

(٢) الممتحنة: ٨.



كأسنان المشط. فقد قال صلى الله عليه وسلم:" يا أيُّها النَّاسُ؛ ألَا إنَّ ربَّكم واحِدٌ، وإنَّ أباكم واحِدٌ، ألَا لا فَضْلَ لِعَربيٍّ على عَجَميٍّ، ولا لعَجَميٍّ على عَرَبيٍّ، ولا أحمَرَ على أسوَدَ، ولا أسوَدَ على أحمَرَ؛ إلَّا بالتَّقْوى" رواه أحمد(١).

وقد أجاز الإسلام وأباح أكلَ طعامِ أهل الكتاب، والزواج من نسائهم، فقد قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾(٢).

وأيضا فقد تجلَّت سماحة الإسلام في التعامل مع أسرى الحرب من الأعداء، وذلك بأحد أمرين: الأول إطلاق سراحهم وتحريرهم دون مقابلٍ؛ وهو ما يُعرَف بالمنّ، وثانيهما إطلاق سراحهم وتحريرهم بمُقابل، وهو ما يُعرَف بالفداء، قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾(٣).

فالاسترقاق لم يكن أحد الخيارات المتاحة في التعامل مع الأسرى من غير المسلمين.

وقد وُصفت الشريعة الإسلامية بأنَّها حنيفية سمحة، كما قال صلى الله عليه وسلم:" بُعثتُ بالحنيفية السمحة" رواه أحمد(٤)، أي السهلة الميسَّرة، حنيفيَّة في التوحيد، سمحة في العمل، ممَّا يدلُّ على رفْع الإصر والحرج فيها، والبُعْد عن التشدُّد.

ورُوي عن عبادة بن الصامت- رضي الله عنه- أنَّه قال: يا نبيَّ الله؛ أيُّ العمل أفضل؟ قال: الإيمان بالله والتصديق به والجهاد في سبيله. قال: أريد أهون من ذلك يا رسول الله. قال: السماحة والصبر. رواه أحمد(٥).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٤٧٤) برقم (٢٣٤٨٩). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٤٤٩).

(٢) المائدة: ٥.

(٣) محمد: ٤.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٦٢٣) برقم (٢٢٢٩١). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ١٠٢٢).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٣٨٩) برقم (٢٢٧١٧). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ١٠٠١).



ومن الشواهد على تسامح الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم استقبل وفد نصارى الحبشة، وأكرمهم بنفسه، فقال أصحابُه: نحن نكفيك يا رَسولَ اللهِ، قال: إنَّهم كانوا لأصحابِنا مُكرِمينَ، وإنِّي أُحِبُّ أن أكافِئَهم. رواه البيهقي[١].

سامِحْ صديقَكَ إنْ زلَّتْ به قدمٌ فليسَ يَسلمُ إنسانٌ من الزَّللِ[٢]

الخلاصة: ممَّا يُذكر من محاسن العفو أنَّ الخليفة العباسي المأمون ظفر برجلٍ كان يطلبه، فلما دخل عليه أمر بضرب عنقه، فقال الرجل: دعني يا أمير المؤمنين أنشدك أبياتًا، فقال :

زَعَموا بأنَّ البازَ علقَ مرةً عصفورَ بَرٍّ ساقَه المقدورُ
فتكلَّمَ العُصفورُ تحتَ جَنَاحِهِ والبَازُ مُنقَضٌّ عليه يَطيرُ
مَا بِي لما يُغني لمثلِكَ شَبعةٌ ولئنْ أُكلتُ فإنَّني لحقيرُ
فتبسَّم البازُ المدِلُّ بنفسِهِ كَرَمًا وأُطلِقَ ذلكَ العُصفورُ

فأطلقه المأمون وخلع عليه ووصله[٣].

(١) رواه البيهقى في دلائل النبوة (٢/ ٣٠٧). والحديث قال عنه الألباني: "ضعيف جداً" كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٢/ ٤٢٢). دلائل النبوة، تأليف: الإمام البيهقي (٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ)، تحقيق: وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه : الدكتور / عبد المعطى قلعجى، الناشر: دار الكتب العلمية ـ ودار الريان للتراث، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

(٢) نظم اللآل في الحكم والأمثال (ص: ١٨، بترقيم الشاملة آليا). نظم اللآل في الحكم والأمثال، المؤلف: عبد الله فكري «باشا» بن محمد بليغ بن عبد الله بن محمد (المتوفى: ١٣٠٦هـ)، شرحه: عبد المعين الملوحي – دمشق.

(٣) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٧/ ١٢٦، بترقيم الشاملة آليا).

١٩ جمادى الأولى

السكينة

السكينة ما تجده في القلب من الطمأنينة. وقال ابن القيِّم- رحمه الله-: هي الطُّمَأنِينة والوَقَار والسُّكون، الذي يُنزِّله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدَّة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوَّة اليقين والثَّبات(١).

وقال الجرجاني: السَّكِينَة ما يجده القلب من الطُّمَأنينة عند تنزُّل الغيب، وهي نور في القلب يَسْكُن إلى شاهده ويطمئن(٢).

عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّهُ دفعَ معَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يوم عرفة، فسمعَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وراءَهُ زَجْرًا شديدًا، وضربًا وصوتًا للإبِلِ، فأشَارَ بسَوطِهِ إليهِمْ، وقالَ:" أيُّها الناسُ؛ عليكم بالسَّكِينَةِ " رواه البخاري(٣). أي: لازموا الطُّمَأنِينة والرِّفق، وعدم المزَاحمة في السَّير.

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إذا أُقِيمت الصَّلاة فلا تأتوها تَسْعَون، وأتوها تمشون، وعليكم السَّكِينَةُ، فما أدركتم فصلُّوا، وما فاتكم فأتمُّوا" رواه البخاري(٤).

وفيه النَّدب الأكيد إلى إتيان الصَّلاة بسَكِينة ووَقَار، والنَّهي عن إتيانها سعيًا، سواءً فيه صلاة الجمعة وغيرها، سواءً خاف فَوْت تكبيرة الإحرام أم لا.

وعن أبي قتادة- رضي الله عنه- قال: صلَّيتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" لا تقوموا حتى تروني، وعليكم السكينةُ" رواه البخاري(٥).

وكان يُعلِّم أصحابه أنَّ السكينة إنَّما تتنزَّل على المرء بذكره لربه وعبادته له؛ فيقول لهم:" ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم؛ إلَّا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمَن عنده" رواه مسلم(٦).

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٧١).

(٢) التعريفات (ص: ١٢٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٦٤) برقم (١٦٧١) كتاب الحج باب أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسكينة عند الإفاضة، وإشارته إليهم بالسوط.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٧) برقم (٩٠٨) كتاب الجمعة باب المشي إلى الجمعة. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٢٠) برقم (٦٠٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، والنهي عن إتيانها سعيا.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٨) برقم (٩٠٩) كتاب الجمعة باب المشي إلى الجمعة.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) برقم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.



وكان عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- ينصح الناس فيقول لهم: تعلَّمُوا العلم، وتعلَّموا معه السكينة والوقار[(١)]

وروى البخاري في صحيحه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم الأحزاب يرتجز برَجَز عبد الله بن رواحة- رضي الله عنه-، ويقول:

اللهُمَّ لولا أنتَ ما اهتدينا ولا تصــدَّقنا ولا صــلَّينا
فــأَنْزِلَنْ سَــكِينةً علينــا وثبِّتِ الأقـدامَ إنْ لاقينـا
إنَّ الأعــداءَ قد بَغَوا علينا إذا أرادوا فتنةً أبينــا[(٢)]

وقال ابن القيِّم- رحمه الله-: السَّكِينَة إذا نزلتْ على القلب اطمأنَّ بها، وسكنت إليها الجوارح، وخشعت، واكتسبت الوَقَار، وأنطقت اللِّسان بالصَّواب والحِكْمة، وحالت بينه وبين قول الخَنَا والفحش، واللَّغو والهجر وكلِّ باطلٍ[(٣)]. وفي صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدِّمة: إنِّي باعثٌ نبيًّا أمِّيًّا، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا صخَّابٍ في الأسواق، ولا مُتزيِّنٍ بالفحش، ولا قوَّالٍ للخَنَا. أسدِّده لكلِّ جميلٍ، وأَهَب له كلَّ خُلُق كريم، ثمَّ أجعل السَّكِينَة لِبَاسه، والبرَّ شعاره، والتَّقوى ضميره، والحِكْمَة معقوله، والصِّدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خُلُقه، والعدل سيرته، والحقَّ شريعته، والهُدى إمامه، والإسلام ملَّته، وأحمد اسمه[(٤)].

وقد قسم العلماء السكينة إلى قسمين:

١- سكينة عامَّة: وهى التى تخصُّ عامَّة الخَلْق، وهى التي يجدها العبد عند القيام بوظائف العبوديَّة، وهي التي تُورث الخشوع والخضوع، وجمعيَّة القلب على الله، بحيث يُؤدِّي عُبوديَّته بقلبه وبدنه قانتًا لله عزَّ وجلَّ.

٢- سكينة خاصَّة: وهى التي تخصُّ أتباع الرُّسل بحسب مُتابعتهم، وهي سَكِينة الإيمان، وهي سَكِينةٌ تُسَكِّن القلوب عن الرَّيب والشَّك، ولهذا أنزلها الله على المؤمنين في أصعب المواطن؛ أحوج ما كانوا

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٣٤٢) عن عمر مرفوعًا. والحديث ضعفه الألباني مرفوعًا كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٤/ ١١٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٦٤) برقم (٣٠٣٤) كتاب الجهاد والسير باب الرجز في الحرب ورفع الصوت في حفر الخندق. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٢٧) برقم (١٨٠٢) كتاب الجهاد والسير باب غزوة خيبر.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٧٣).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٧٢).

إليها، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، فذكر نعمته عليهم بالجنود الخارجة عنهم، والجنود الدَّاخلة فيهم، وهي السَّكِينَة عند القلق والاضطراب[١].

وأعلى مراتب السَّكِينَة؛ سَكِينة الأنبياء، وقد ذكر ذلك ابن القيِّم- رحمه الله-: وأورد لها أمثلة، منها:

- السَّكِينَة التي حصلت لإبراهيم الخليل، وقد أُلْقي في المنْجَنِيق مُسافرًا إلى ما أَضْرَم له أعداءُ الله من النَّار، فللَّه تلك السَّكِينَة التي كانت في قلبه حين ذلك السَّفر.
- السَّكِينَة التي حصلت لموسى، وقد غشيه فرعون وجنوده مِن ورائهم، والبحر أمامهم، وقد استغاث بنو إسرائيل: يا موسى؛ إلى أين تذهب بنا؟! هذا البحر أمامنا، وهذا فرعون خلفنا.
- وكذلك السَّكِينَة التي حصلت له وقت تكليم الله له نداءً ونجاءً، كلامًا حقيقةً، سمعه بأذنه.
- وكذلك السَّكِينَة التي حصلت له، وقد رأى العصا ثعبانًا مبينًا.
- وكذلك السَّكِينَة التي نزلت عليه، وقد رأى حبال القوم وعِصِيَّهم كأنَّها تسعى، فأوجس في نفسه خِيفةً.
- وكذلك السَّكِينَة التي حصلت لنبينا صلى الله عليه وسلم وقد أشرف عليه وعلى صاحبه عدوُّهما، وهما في الغار، فلو نظر أحدهم إلى تحت قدميه لرآهما.
- وكذلك السَّكِينَة التي نزلتْ عليه في مواقفه العظيمة، وأعداء الله قد أحاطوا به، كيوم بدر، ويوم حُنينٍ، ويوم الخندَّق وغيرها[٢].

أهـلًا بقـومٍ صـالحينَ ذوي تُقَـى ... خـيرِ الرجـالِ وزَيْـنِ مـلاءِ
يَسعَون في طلبِ الحديثِ بعفَّةٍ ... وتَـوقُّرٍ وسَـكِينةٍ وحيـاءِ
لهـمُ المهابةُ والجلالةُ والتُّقَى ... وفضائلٌ جلَّتْ عنِ الإحصاءِ[٣]

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٥٤).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٥٤).

(٣) حسن التنبه لما ورد في التشبه (٣/ ١١٤). حسن التنبه لما ورد في التشبه «وهو كتاب فريد في بابه يشتمل على بيان ما يتشبه به المسلم وما لا يتشبه به»، المؤلف: نجم الدين الغزي، محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي (المولود بدمشق سنة ٩٧٧ هـ، والمتوفى بها سنة ١٠٦١ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.



وروى البخاري ومسلم أيضًا عن البراء بن عازب- رضي الله عنه- قال: كان رجُلٌ يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط، فتغشَّتْه سحابة فجعلتْ تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة تنزَّلتْ للقرآن[١].

وهذا لا يعني أن السكينة تتنزَّل فقط عند قراءة سورة الكهف، بل لكونها من القرآن، كما يُشير إليه لفظ الحديث.

الخلاصة: كان شيخ الإسلام ابن تيمية إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة[٢]، وهي:

١- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٣].

٢- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

٣- قوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٥].

٤- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٦].

٥- قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٧].

٦- قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٨].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٨٨) برقم (٥٠١١) كتاب فضائل القرآن باب فضل سورة الكهف. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٤٧) برقم (٧٩٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب نزول السكينة لقراءة القرآن.

(٢) ينظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٨٣)؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٧٠).

(٣) البقرة: ٢٤٨.

(٤) التوبة: ٢٦.

(٥) التوبة: ٤٠.

(٦) الفتح: ٤.

(٧) الفتح: ١٨.

(٨) الفتح: ٢٦.



٢٠ جمادى الأولى

العدل

العدل، وما أدراك ما العدل؟ ما قامت السماوات والأرض إلَّا بالعدل، والله تعالى هو العدل، لا يظلم أحدًا، ولا يُحابِي أحدًا، ولا يجور على أحد، مع أن الخلقَ خَلْقُهُ، والأمرَ أمْرُهُ، والملِكَ مُلْكُهُ، ومع تلك العظمة والجبروت والسلطان اتَّصف بالعدل، فالله تعالى عَدْلٌ في أحكامه، عدلٌ في عطائه، عدلٌ في مَنْعِهِ، عدلٌ في جزائه، ولا أعدلَ من الله.

والعدلُ يَشملُ جَميعَ شُؤونِ الحياةِ: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾(١)، ففي المحاكمات: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾(٢)، وفي المكاتبات: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾(٣)، وفي عُقود الصُلحِ: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾(٤)، وفي المكاييل والموازين: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾(٥)، ومع الأيتام: ﴿وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾(٦)، وعلى النَّفسِ والأقربينَ: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾(٧)، وحتى في الأقوال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾(٨)، وكما أنَّ الشركَ هو أعظمُ الظُلمِ؛ ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٩)، فإنَّ التوحيدَ هو أعظمُ العدلِ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١٠).

يقول شيخ الإسلام ابن تيميةَ- رحمهُ اللهُ-: عاقبةُ الظلمِ وخيمةٌ، وعاقبةُ العدلِ كريمةٌ؛ وإنَّ اللهَ لينصرُ الدَّولةَ العادِلةَ وإنْ كانت كافِرةً، ولا ينصرُ الدَّولةَ الظالِمةَ وإن كانت مُؤمِنةً(١١).

---

(١) الشورى: ١٥.

(٢) النساء: ٥٨.

(٣) البقرة: ٢٨٢

(٤) الحجرات: ٩.

(٥) الأنعام: ١٥٢.

(٦) النساء: ١٢٧.

(٧) النساء: ١٣٥.

(٨) الأنعام: ١٥٢.

(٩) لقمان: ١٣.

(١٠) آل عمران: ١٨.

(١١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٣).



وذهب ابن عطية إلى أن العدل هو فعْل كلِّ مفروضٍ من عقائد وشرائع، وأداء الأمانات وترْك الظلم، والإنصاف وإعطاء الحق(١).

وفي غمار يوم القيامة يتميَّز الحاكم العادل في الدنيا بظلِّ الله وكنفه ورعايته، قال النبيُّ الكريمُ صلى الله عليه وسلم:" سبعةٌ يُظِلُّهمُ اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه: الإمامُ العادلُ....." رواه البخاري(٢).

وقد أمرنا الله أن نَعْدِلَ بين الأولاد؛ حتى لو كانوا مُختلفين في البِرِّ والمحبَّة والأخلاق، والقُرب أو البُعد منَّا؛ فلا مَحِيدَ عن العدل في العَطِيَّةِ، وفي الهبة، وفي الكلمة الطيبة، وفي الابتسامة، وفي المحاسبة في الأمر والنهي، لا بُدَّ من العدل؛ قال صلى الله عليه وسلم:" اعدلوا بين أولادكم في النِّحَلِ، كما تُحبُّون أن يعدلوا بينكم في البِرِّ واللُّطْفِ" صحيح ابن حبَّان(٣).

كما أمرنا الله سبحانه وتعالى بالعدل بين الزوجات، حتى لو كانت إحداهما أحبَّ من الأخرى، فلا بُدَّ من العدل؛ في العطاء، في النفقة، في الصلة، في الكلمة الطيبة، في الأمر والنهي، العدل فيما يُستطاع.

والتجاوزات والتصرُّفات التي نسمعها عن بعض المعدِّدين يجب أن تغيب وتتلاشى في مجتمعنا، ومَن لا يقدر على العدل بين الزوجات؛ فلا يُعَدِّد؛ قال صلى الله عليه وسلم:" إذا كان عند الرجُلِ امرأتانِ فلمْ يعدلْ بينهما؛ جاء يوم القيامة وشِقُّهُ ساقط" رواه أبو داود والنسائي والترمذي(٤).

وإن الله تعالى أمرنا أن نعدل بين الناس في الوظائف والأعمال والمسؤوليات؛ فالموظف مسؤول أمام الله أن يعدل في وظيفته، فالمواطنون كلُّهم سواءٌ؛ القريب والبعيد، الغني والفقير، والمربِّي مسؤول

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤١٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (١١/ ٥٠٣) برقم (٥١٠٤). والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٧/ ٣٧٣). الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٢٤٢) برقم (٢١٣٣) كتاب الجهاد باب في في القسم بين النساء. والترمذي في جامعه (٣/ ٤٣٩) برقم (١١٤١) أبواب النكاح باب ما جاء في التسوية بين الضرائر. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ١٥٠) برقم (٨٨٣٩) كتاب عشرة النساء ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض. وابن ماجه في سننه (١/ ٦٣٣) برقم (١٩٦٩) كتاب النكاح باب القسمة بين النساء. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٨٠).



أمام الله تعالى في العدل بين طلابه في كل المعاملات؛ قال صلى الله عليه وسلم:" ثلاثٌ مُنجياتٌ: خشية الله تعالى في السر والعلانية، والعدْل في الرضا والغضب، والقصْد في الفقر والغِنى، وثلاثٌ مُهلِكاتٌ: هوىً مُتَّبَعٌ، وشُحٌّ مُطاعٌ، وإعجابُ المرءِ بنفسِه"؛ [حسَّنه الألباني في صحيح الجامع] (١).

وقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾(٢).

العدلُ من أسْمَى القِيَمْ ... يسْمُو بِنَا إلى القِمَمْ
فهْوَ أساسُ مُلْكِنَا ... يَرفَعُنَا فوقَ الأُمَمْ
والعادِلُونَ بيننَا ... مثلُ النُّجُومِ في الظُّلَمْ
فاعْدِلْ ولوْ معَ الذي ... جارَ عليْكَ أَوْ ظَلَمْ
وَكُنْ تَقِيًّا مُخْلِصًا ... يَرْعى الحُقُوقَ والذِّمَمْ
وَلْتحذَرِ الظُّلْمَ فإنَّ ... الظُّلْمَ يُفْضِي لِلنَّدَمْ
يَا وَيلَ كلِّ ظالِمٍ ... مِنْ دعوةِ الذِي ظَلَمْ(٣)

وممَّا يُروى في بيان عدْل عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-؛ والحقُّ ما شهدتْ به الأعداء، أنَّ ملِك الفُرس أرسل إليه رسولًا، فلمَّا وصل المدينة سأل أهلها: أين مَلِكُكُم؟ فأجابوه: ليس لدينا مَلِكٌ، بل لنا أميرٌ، وقد ذهب إلى ظاهر المدينة، فذهب الرسول في طلب عمر- رضي الله عنه- فرآه نائمًا في الشمس على الأرض فوق الرمل، وقد وضع عصاه كالوسادة، والعَرَق يتصبَّب مِن جبينه. فلمَّا رآه على هذه الحالة وقع الخشوع في قلبه وقال: رجلٌ تَهابُهُ جميعُ الملوك. وتكون هذه حاله؟!! ولكنَّكَ عَدَلتَ فأمِنْتَ فنِمْتَ يا عمر. وقد أسلم رسولُ ملِك الفُرس بعد ذلك(٤).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٥).

---

(١) ينظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٥٨٣).

(٢) ص: ٢٦.

(٣) الإسلام دين العدل للشيخ حسين شعبان وهدان.

(٤) ينظر: التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص: ١٨). التبر المسبوك في نصيحة الملوك، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

(٥) النحل: ٩٠.

قال عبد الرحمن بن ناصر السعدي: فالعدْل الذي أمر الله به؛ يشمل العدْل في حقِّه وفي حقِّ عباده، فالعدْل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة، بأن يُؤدِّي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركَّبة منهما في حقِّه وحقِّ عباده، ويُعامِل الخَلق بالعدْل التام، فيُؤدِّي كلُّ والٍ ما عليه تحت ولايته؛ سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء، ونُوَّاب الخليفة، ونُوَّاب القاضي، والعدْل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمَرَهم بسلوكه، ومن العدْل في المعاملات أن تُعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات؛ بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخسْ لهم حقًّا، ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم، فالعدْل واجب، والإحسان فضيلة مُستحبٌّ[(١)].

الخلاصة: ورد ذكر العدل في القرآن الكريم ٢٩ مرة، وله عدَّة صورٍ؛ منها:

العدْل مع المخالِف: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[(٢)].

العدْل مع الزوجة: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [(٣)].

العدْل في التجارة: ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [(٤)].

العدْل مع الحاكم: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [(٥)].

وختامًا قال سبحانه وتعالى مُخاطِبًا نبيَّه صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[(٦)].

فالعدل ميزان الله في الأرض، به يأخذ للمظلوم من الظالم، وللضعيف من الشديد، وبالعدْل يصدق الله الصادق، ويكذب الكاذب، وبالعدل يرُدُّ المعتدي ويُوبِّخه.

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٤٧).

(٢) المائدة: ٨.

(٣) النساء: ١٢٩.

(٤) الأنعام: ١٥٢.

(٥) المائدة: ٤٢.

(٦) الشورى: ١٥.

٢١ جمادى الأولى

العزة

العِزُّ: خلاف الذُلِّ. وهو في الأصل: القُوَّة والشِّدَّة والغَلَبَة والرِّفعة والامْتِنَاع[١]. فهذه المادة في كلام العرب لا تخرج عن معانٍ ثلاثةٍ:

أحدها: بمعنى الغَلَبَة، يقولون: مَنْ عَزَّ بَزَّ. أي: من غَلَبَ سَلَبَ، يُقال منه: عَزَّ يَعُزُّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾[٢]. والثاني: بمعنى الشِّدَّة والقُوَّة، يُقال منه: عَزَّ يَعَزُّ. والثالث: أن يكون بمعنى نَفَاسَة القَدْر، يقال منه: عَزَّ يَعِزُّ[٣].

ويقول ابن القيّم: والعِزَّة يُرَاد بها ثلاثة معان: عِزَّة القُوَّة، وعِزَّة الامْتِنَاع، وعِزَّة القَهْر، والرَّبُّ- تبارك وتعالى- له العِزَّة التَّامة بالاعتبارات الثَّلاث[٤]. كما أنَّه سَمَّى نفسه المعِزَّ، فهو الذي يَهَبُ العِزَّة لمن يشاء، كما أنَّه يُذِلُّ مَن يشاء، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥]، فهو المعِزُّ الحقيقي لمن يشاء إعزازه مِن البَشَر.

وذكر بعض المفسّرين أنَّ العِزَّة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

أحدها: العَظَمَة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٧].

والثَّاني: المنْعَة. ومنه قوله تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[٨].

---

(١) ينظر: لسان العرب (٥/ ٣٧٤).

(٢) ص: ٢٣.

(٣) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: ٤٣٥). نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٢٤١).

(٥) آل عمران: ٢٦.

(٦) الشُّعراء: ٤٤.

(٧) ص: ٨٢.

(٨) النِّساء: ١٣٩.



والثَّالث: الحَمِيَّة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [(١)]، وقوله أيضًا: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [(٢)]. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[(٣)]. أي: مَن كان يَوَدُّ أن يكون عزيزًا في الدُّنْيا والآخرة؛ فلْيلزمْ طاعة الله تعالى، فإنَّ بها تُنَالُ العِزَّة؛ إذْ لله العِزَّةُ فيهما جميعًا.

حَدَثَ أنْ أرسلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى عُيينة بن حصن، والحارث بن عوف؛ رئيسي غَطَفَان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة، وجرت المراوَضةَ في ذلك، ولم يتمَّ الأمر، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة- رضي الله عنهما، فقالا: يا رسول الله؛ أشيءٌ أمَرَكَ الله به فلا بُدَّ لنا منه؟ أم شيءٌ تُحِبُّه فنصنعه؟ أم شيءٌ تصنعه لنا؟ قال: بل شيءٌ أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلَّا أنِّي رأيتُ العرب قد رمتْكم عن قوسٍ واحدةٍ. فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله؛ قد كنَّا نحن وهؤلاء القوم على الشِّرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطيقون أن يأكلوا منها تمرة إلَّا قِرَى أو بَيْعًا، فحين أكرمنا الله تعالى بالإسلام وهدانا له، وأعزَّنا بك وبه؛ نعطيهم أموالنا!! والله لا نعطيهم إلَّا السَّيف. فصوَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه، وتمادوا على حالهم[(٤)].

ويُمْكِننا أن نُقسِّم العِزَّة إلى قسمين: شرعيَّة، وغير شرعيَّة.

فالعِزَّة الشَّرعيَّة: هي العِزَّة الحقيقيَّة، العِزَّة في الحقِّ وبالحقِّ، والتي يكون صاحبها عزيزًا ولو كان ضعيفًا مَظْلومًا، شامخًا ولو كان طريدًا مُستضَامًا، فتجده لا يركع إلَّا لله، ولا يتنازل عن شيء ممَّا أَمَره به، فهو يَعْتَزُّ بعِزَّة الله- تبارك وتعالى-، وهذه هي العِزَّة التي ترتبط بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [(٥)].

ومن صور العِزَّة الشَّرعيَّة:

---

(١) البقرة: ٢٠٦.

(٢) ص: ٢.

(٣) فاطر: ١٠.

(٤) جوامع السيرة (ص: ١٨٨). جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: ١، ١٩٠٠ م.

(٥) المنافقون: ٨.



١- الاعْتِزَاز بالله تبارك وتعالى: فالمسلم يعلم أنَّ الله عزيز، وأنَّ الاعْتِزَاز بالعزيز عزَّة، والاعتماد عليه قوَّة، والالتزام بنَهْجِه شموخ، وهو يعلم أيضًا أنَّ الاعْتِزَاز بغيره ذلٌّ وهَوَان، والاستقواء بغيره ضعف، قال عبيدة بن أبي لبابة: مَن طلب عزًّا بباطل وجور؛ أورثه الله ذُلًّا بإنصافٍ وعدلٍ.

٢- الاعْتِزَاز بالانتساب للإسلام: فالمسلم يعلم أنَّ هذا الدِّين دين العِزَّة والقوَّة، الذي يستمدُّ المسلمون عزَّهم مِن عِزِّه، وقوَّتهم مِن قوَّته، ومتى طلبوا العِزَّة في سواه- من المناهج الشَّرقيَّة أو الغربيَّة- أذلَّهم الله. يقول عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه-: نحن أمَّة أعزَّنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العِزَّة بغيره؛ أذلَّنا الله[1].

أبِي الإسلامُ لا أبَ لي سواهُ إذا افتخرُوا بقيسٍ أو تميمِ[2]

٣- الاعْتِزَاز برسول الله صلى الله عليه وسلم: فالمؤمن يعتَزُّ بكونه مِن أمَّة محمَّد صلى الله عليه وسلم، ينتسب إليه إذا انتسبت الأمم، ويُفَاخر به إذا ذُكِر القادة والمصلحون العظماء، يرجو شفاعته، ويتمنَّى لقاءه، ويسأل الله أن يوفِّقه للسِّير على نهجه وإحياء سنَّته، والقيام بحقوقه.

٤- إظهار العِزَّة على الكافرين، والذِّلَّة وخفض الجناح للمؤمنين: وهذه من أعظم صور العِزَّة ومظاهرها، إظهارًا لقوَّة هذا الدِّين وعزَّته وعُلوِّه، قال تعالى وهو يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[3]، وقال أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[4].

أما العِزَّة غير الشَّرعيَّة: فكالاعْتِزَاز بالكفَّار من اليهود والنصارى والمنافقين وغيرهم، قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾[5].

وكالاعْتِزَاز بالآباء والأجداد؛ عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النَّبي صلى الله عليه وسلم، قال:" لينتهينَّ أقوامٌ يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنَّما هم فَحْمُ جهنَّم، أو ليكوننَّ أهْوَنَ على الله مِن

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ١٣٠) برقم (٢٠٧). والأثر ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ١١٨).

(٢) ينظر: الدر الفريد وبيت القصيد (٢/ ١١٥).

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) المائدة: ٥٤.

(٥) النِّساء: ١٣٨، ١٣٩.



الجُعَلِ الذي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بأنفه، إنَّ الله أذهبَ عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليَّة وفخرَها بالآباء، إنَّما هو مُؤمنٌ تقيٌّ، وفاجرٌ شقيٌّ، النَّاس كلُّهم بنو آدم، وآدمُ خُلِق من ترابٍ" رواه أحمد(١).

ومنه الاعْتِزَاز بالقبيلة والرَّهط؛ قال تعالى:﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ﴾(٢)، وعن أبي مالك الأشعري- رضي الله عنه- أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" أربعٌ في أمَّتي من أمر الجاهليَّة لا يتركونَهنَّ: الفَخْرُ في الأحساب، والطَّعنُ في الأنساب، والاستسقاءُ بالنُّجوم، والنِّياحةُ" رواه مسلم(٣).

الخلاصة: أنَّ العِزَّة- التي لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين- هي الدَّائمة الباقية، وهي العِزَّة الحقيقيَّة.

لمـا نقض الروم الصلح مع المسلمين، وعزلوا ملِكتَهم، وملَّكوا عليهم نقفور، الذي كتب إلى هارون الرشيد يطالبه بردِّ ما دفعتْه إليه الملِكة السابقة من أموال:" وافدِ نفسَك به؛ وإلَّا فالسيفُ بيننا وبينك" فغضب هارون غضبًا شديدًا وكتبَ على ظهر الكتاب:" بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلبِ الروم؛ قد قرأتُ كتابَك يا ابن الكافرة، والجواب ما ترى لا ما تسمع(٤).

أَرَى النَّاسَ مَن دَانَاهُمُ هَانَ عِنْدَهمْ ... وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا
وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لاحَ لي يَسْتَفِزُّنِي ... ولا كُلُّ مَنْ لاقَيْتُ أَرْضَاهُ مُنْعِمَا
وَإِنِّي إذا ما فَاتَــنِي الأَمْرُ لَمْ أَبِتْ ... أُقَلِّبُ كَفِّــي إِثْرَهُ مُتَنَدِّمَا(٥)

---

(١) رواه أحمد في سننه (١٦/ ٤٥٦) برقم (١٠٧٨٢). والترمذي في جامعه (٥/ ٧٣٤) برقم (٣٩٥٥) أبواب المناقب باب بدون ترجمة. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٤٥٥).

(٢) هود: ٩٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٤٤) برقم (٩٣٤) كتاب الجنائز باب التشديد في النياحة.

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام (٤/ ٧٩١).

(٥) ينظر: بدائع السلك في طبائع الملك (٢/ ٣١١). بدائع السلك في طبائع الملك، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (المتوفى: ٨٩٦هـ)، المحقق: د. علي سامي النشار، الناشر: وزارة الإعلام – العراق، الطبعة: الأولى.



٢٢ جمادى الأولى

العزيمة

العزيمة مصطلحٌ وردت مادته (العزم) ومشتقاتها في القرآن في تسعة مواضع، والعزم في اللغة: عبارة عن الإرادة المؤكدة. قال الله تعالى: ﴿ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴾ (١)، أي لم يكن له قصدٌ مُؤَكَّدٌ في الفعل بما أمر به. وفي الشريعة: العزم اسمٌ لما هو أصل المشروعات، غير مُتعلِّقٍ بالعوارض (٢).

وقال الطبري: أصل العزم اعتقاد القلب على الشيء(٣). وقال ابن عاشور: العزم هو إمضاء الرأي، وعدم التردُّد بعد تبيُّن السداد(٤).

وعن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ الله تعالى يُحبُّ أن تُؤتَى رُخَصُهُ كما يُحبَّ أن تُؤتَى عزائمُهُ" رواه البيهقي(٥).

قال المناوي : عزائمه أي مطلوباته الواجبة، فإنَّ أمْر الله في الرخص والعزائم واحد(٦).

والعزيمة لغة: القصد المؤكد، وشرعًا: الحكم الثابت بدليل شرعي خالٍ عن مُعارِض راجح. وهو يشمل الأحكام الخمسة؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منها حكمٌ ثابتٌ بدليلٍ شرعيٍّ. فيكون الحرام والمكروه على معنى الترْك. فيعود المعنى في ترْك الحرام إلى الوجوب. بخلاف الرخصة؛ فهي في اللغة: السهولة، وشرعًا: ما ثبُتَ على

---

(١) طه: ١١٥.

(٢) التعريفات (ص: ١٥٠).

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان (١٦/ ١٨٥).

(٤) التحرير والتنوير (٤/ ١٩٠). التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(٥) رواه البزار في مسنده = البحر الزخار (١٢/ ٢٥٠) برقم (٥٩٩٨). وابن حبان في صحيحه (٢/ ٦٩) برقم (٣٥٤). والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٤١) برقم (٥٤٨١). والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١/ ٣٧٩). مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

(٦) ينظر: فيض القدير (٢/ ٢٩٢).



خلافِ دليلٍ شرعيّ لمعارِض راجح[١]، أو ثبوت حكمٍ لحالة تقتضيه؛ مُخالِفةً مُقتضي دليلٍ يعمُّها. مثل: صيام رمضان، فهو عزيمة مؤكَّدة في الشرع، والإفطار رخصة للمسافر والمريض[٢].

وقد ورد الحديث عن العزيمة في القرآن الكريم؛ فعن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾[٣]، قال: أمَرَ الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم إذا عزم على أمرٍ أن يمضي فيه، ويستقيمَ على أمر الله، ويتوكَّل على الله[٤].

قال الله تعالى عن آدم- عليه السلام-: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[٥].

قال ابن الجوزي: العزم في اللغة: توطين النفس على الفعل. وفي المعنى أربعة أقوال:

أحدها: لم نجد له حفظًا، رواه العوفي عن ابن عباس، والمعنى: لم يحفظ ما أُمِر به. والثاني: صبرًا، قاله قتادة ومقاتل، والمعنى: لم يصبر عمَّا نُهي عنه. والثالث: حزمًا، قاله ابن السائب. قال ابن الأنباري: وهذا لا يُخرِج آدمَ مِن أولي العزم. وإنَّما لم يكن له عزم في الأكل فحسب. والرابع: عزمًا في العَوْد إلى الذَّنْب[٦].

والعزم على ترْك الذنب من شروط قبول التوبة: فالتوبة واجبة من كل ذنب، ولها شروط: منها العزم على عدم العودة للذنب أبدًا.

على قدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدْرِ الكِرامِ المكَارِمُ
وتَعظُمُ في عينِ الصغيرِ صِغارُها ... وتصغُرُ في عينِ العظيمِ العَظَائِمُ[٧]

---

(١) المختصر في أصول الفقه (ص: ٦٧). المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: ابن اللحام، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٨٠٣هـ)، المحقق: د. محمد مظهربقا، الناشر: جامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة.

(٢) ينظر: مختصر التحرير شرح الكوكب المنير (١/ ٤٧٩). شرح الكوكب المنير، المؤلف: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: ٩٧٢هـ)، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧ م.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان (٦/ ١٩٢).

(٥) طه: ١١٥.

(٦) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٣/ ١٧٩). زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

(٧) الحماسة المغربية (١/ ٥٣٠). (الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ)، المحقق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩١م.



وقال تعالى على لسان لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾(١)، قال أبو حيان الأندلسي: العزم مصدر، فاحتمل أن يُراد به المفعول، أي مِن معزوم الأمور، واحتمل أن يُراد به الفاعل، أي عازم الأمور(٢).

وقوله تعالى: ﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾(٣).

قال السعدي﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ أي: جاءهم الأمر جدٌّ، وأمْرٌ مُحتَّمٌ، ففي هذه الحال لو صدقوا الله بالاستعانة به، وبذل الجهد في امتثاله ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾ من حالهم الأولى، وذلك من وجوه:

منها: أنَّ العبد ناقصٌ من كلِّ وجه، لا قدرة له إلَّا إن أعانه الله، فلا يطلب زيادة على ما هو قائمٌ بصدده.

ومنها: أنَّه إذا تعلَّقت نفسه بالمستقبل، ضعُف عن العمل، بوظيفة وقته، وبوظيفة المستقبَل، أما الحال فلأن الهِمَّة انتقلت عنه إلى غيره، والعمل تبعٌ للهِمَّة، وأمَّا المستقبَل فإنَّه لا يجيء حتَّى تفتر الهِمَّة عن نشاطها فلا يُعانُ عليه.

ومنها: أنَّ العبد المؤمِّل للآمال المستقبَلة، مع كسله عن عمل الوقت الحاضر؛ شبيهٌ بالمتألِّي الذي يجزم بقدرته على ما يَستقبِل من أموره، فأحرى به أن يُخذل ولا يقوم بما همَّ به، ووطَّن نفسه عليه، فالذي ينبغي أن يُجمِع العبدُ همَّه وفكرته ونشاطه على وقته الحاضر، ويُؤدِّي وظيفته بحسب قدرته، ثم كلَّما جاء وقتٌ استقبله بنشاط وهمَّة عالية مُجتمِعة غير مُتفرِّقة، مُستعينًا بربِّه في ذلك، فهذا حريٌّ بالتوفيق والتسديد في جميع أموره(٤).

وقال البخاري في باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾(٥)، فإذا عزم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن لبشر التقدُّم على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم(٦).

---

(١) لقمان: ١٧.

(٢) البحر المحيط في التفسير (٨/ ٤١٥). البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ..

(٣) محمد: ٢١.

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٨٨).

(٥) الشورى: ٣٨.

(٦) صحيح البخاري (٩/ ١١٢)



وقال السعدي في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ ، أي: لَمِنَ الأمورِ التي حثَّ الله عليها وأكَّدها، وأخبر أنَّه لا يُلقَّاها إلَّا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومِن الأمور التي لا يُوفَّق لها إلَّا أولو العزائم والهمم، وذوو الألباب والبصائر[١].

ومن العزيمة في السنة النبوية: عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا يَقولنَّ أحدُكم: اللهمَّ اغفرْ لي إن شئتَ، اللهمَّ ارحمني إنْ شئتَ، لِيعزمْ في الدعاء؛ فإنَّ اللهَ صانعٌ ما شاء، لا مُكرِهَ له" رواه البخاري ومسلم[٢].

قال النووي: عزْم المسألة: الشدَّة في طلبها، والحزم من غير ضعف في الطلب، ولا تعليق على مشيئة ونحوها[٣].

وعن شداد بن أوس- رضي الله عنه- قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته:" اللهمَّ إنِّي أسألك الثباتَ في الأمر، والعزيمةَ على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك مِن خيرِ ما تعلم، وأعوذ بك مِن شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم" رواه الترمذي[٤].

ومن المفارقات الطريفة بين العزم والتردُّد؛ ما كتبه عيسى بن عليٍّ إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، لما همَّ بقتل أبي مسلم الخراساني:

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكُنْ ذا تدبُّرٍ ... فإنَّ فسادَ الرأي أن تتعجَّلَا

فأجابه المنصور:

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكُن ذا عزيمةٍ ... فَإنَّ فسادَ الرأيِ أن تتردَّدَا
ولا تُمهلِ الأعداءَ يومًا بقُدرةٍ ... وبادرْهم أن يملكوا مثلها غَدَا
وَإِنْ كُنْتَ ذَا عَزْمٍ فَانْفُذْهُ عَاجِـلًا ... فَإِنَّ فَسَـادَ العَزْمِ أَنْ يَتقيَّدَا[٥]

الخلاصة: يقول ابن القيِّم- رحمه الله-: الدِّين مدارُه على أصلَينِ العزم والثبات، وهما الأصلان المذكوران في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم:" اللهمَّ إنِّي أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٦١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٤٠) برقم (٧٤٧٧) كتاب التوحيد باب في المشيئة والإرادة: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٣) برقم (٢٦٧٩) كتاب العلم باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت.

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٧).

(٤) رواه أحمد في سننه (٢٨/ ٣٣٨) برقم (١٧١١٤). والترمذي في جامعه (٥/ ٤٧٦) برقم (٣٤٠٧) أبواب الدعوات باب منه. والنسائي في سننه (٣/ ٥٤) برقم (١٣٠٤) كتاب التطبيق نوع آخر من الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٦٩٥).

(٥) الحلة السيراء (١/ ٣٤) والبت الأخير ليس فيه. الحلة السيراء، المؤلف: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: ٦٥٨هـ)، المحقق: الدكتور حسين مؤنس، الناشر: دار المعارف – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٨٥م.

الرشد" رواه الترمذي[١]، وأصل الشكر: صحة العزيمة، وأصل الصبر قوة الثبات، فمتى أُيِّدَ العبدُ بعزيمة وثبات فقد أُيِّدَ بالمعونة والتوفيق[٢]، وقد وصف اللهُ- بخُلُقِ العزيمة- جمعًا من رسله؛ فقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[٣]، أي أصحاب الجد والثبات والصبر.

ما الْعَزْمُ أن تَشْتَهِيَ شَيئًا وتَترُكَهُ   حَقِيقَةُ الْعَزْمِ منك الجدُّ والطلَبُ
كَمْ سَــوَّفتْ خِدَعُ الآمالِ ذَا أرَبٍ   حَتَّى انقَضَى قبلَ أَنْ يَنْقَضِي لَهُ الأرَبُ[٤]

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١١٠). عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٣) الأحقاف: ٣٥.

(٤) غرر الخصائص الواضحة (ص: ٤١٠). غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، المؤلف: أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ)، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.



٢٣ جمادى الأولى

العفَّة

العفَّة خُلُقٌ إسلاميٌّ رفيع يشمل جانبَين؛ الجانب المادي: وهو الكفُّ عن السؤال حفاظًا على ماء الوجه، والاستغناء عمَّا في أيدي الناس، قال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ (١)، وكذلك الابتعاد عن الملذَّات، والاكتفاء بما يسدُّ حاجة الجسد بالحلال.

والجانب المعنوي: يعني الكفَّ عن الحرام بأنواعه، وضبط النفس عن الشهوات والانحرافات، وطهارتها وتزكيتها من أهوائها، وتمسُّكها بالفضائل والمحاسن.

والعفَّة لها نوعان: عفَّة عن المحارم، وعفَّة عن المآثم والمعاصي، ويندرج تحت هذين النوعين الكثير من التفاصيل والأمور، وسنذكر بعضها فيما يأتي:

١- عفَّة الطعام والشراب: تتمثَّل في الامتناع عن إدخال أي شيءٍ مصدره حرامٌ إلى الجوف؛ امتثالًا لأمر الله تعالى، وطلبًا لرضاه وتجنُّبًا للعقاب.

٢- عفَّة الجوارح: أي امتناع العين والأذن واليد والرِّجْل والفرْج عن التعرُّض للمُحرَّمات، وهذه تحتاج إلى مُغالبة الشهوات، وكبح جماح النفس؛ ليتمكَّن صاحبها من ضبط جوارحه، وعدم استخدامها إلَّا في الحلال.

٣- عفَّة اللسان: كفُّه عن السبِّ والشتيمة، والغَيبة والنميمة والبهتان، والاستهزاء والتنابُز بالألقاب، وغير ذلك من الكلام المحرَّم. فلا يستخدم المؤمنُ العفيفُ لسانَه إلَّا في ذكر الله والكلام الطيِّب.

٤- عفَّة الجسد: ستره وعدم إظهار عورته، وذلك للرَّجُل والمرأة على حدٍّ سواء، وكلٌّ منهما له عورته التي حدَّدها الشارع الكريم ويجب الالتزام بسترها.

٥- العفَّة عن السؤال: والكفُّ عن طلب المعونة والمال من الناس، والاعتقاد بأنَّ الله تعالى سيُغنيه من فضله؛ لأنَّ مَن يستعفف يُعِفَّه الله. وإن كانت هذه العفَّة مطلوبة من المحتاج، فهي لغير المحتاج من باب أَولى.

٦- العفَّة عن أموال الغير: الحرص على عدم أخْذ أموال الناس بغير الحقِّ، والتعفُّف عن مال اليتيم لمن يرعاه، إلَّا إن كان فقيرًا وبحاجةٍ إليه؛ فله أن يأخذ بقدْر حاجته فقط.

وهناك عوامل كثيرة ومتنوِّعة لاكتساب العفَّة، منها:

---

(١) النساء: ٦.

١- طلب العلم الشرعي والتعرُّف على الله عزَّ وجلَّ: وصولًا إلى درجة عالية من الإيمان الذي يكون سببًا في كبْح النفس عن شهواتها.

٢- التضرُّع إلى الله تعالى بالدعاء وكثرة مناجاته بصدق وخضوع، والانكسار بين يديه، وطلب الحفظ عمَّا يُؤدِّي إلى الحرام أو الزلَّات.

٣- مُجاهدة النفس وتربيتها على الصبر، وتذكيرها بثواب الصبر، مراقبة الله تعالى واستشعار وجوده واطِّلاعه على كلِّ ما نقول ونفعل.

٤- الصوم: فهو سبيل إلى طهارة النفس وتزكيتها وضبط شهواتها.

٥- الإكثار من النوافل: التي تُقرِّب العبد من ربِّه وتُكسبُه محبَّته، وبالتالي تُعينه على العفَّة. ٦- تربية الأبناء التربية الصحيحة القائمة على الأسس والمبادئ الشرعية.

٧- الزواج؛ فهو بابٌ واسعٌ لعفَّة الجوارح، وصرف الشهوات في المجال المباح لها.

٨- غضُّ البصر؛ ففيه إبعادٌ للنفس عن التعرُّض للشهوات والمغريات، وبالتالي حماية الفرج وعفَّته عن الحرام.

٩- الابتعاد عن أصدقاء السوء؛ لأنَّهم سببٌ في تثبيط الهمَّة، والركون إلى اللهو والعبث، والتعرُّض للمُغريات.

ولقد حثَّ الإسلام على العفَّة؛ يقول الله تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1]. أي: لِيطلبِ العفَّة عن الحرام والزِّنا؛ الذين لا يجدون ما لا ينكحون به للصداق والنفقة، ﴿ حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: يُوسِّع الله عليهم من رزقه.

وقال سبحانه: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[2]. **(يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ)** بحالهم **(أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ)** أي: مِن تَعفُّفهم عن السؤال وقناعتهم يظنُّ مَن لا يعرف حالهم أنَّهم أغنياء، والتعفُّف التفعُّل من العفَّة وهي الترْك، يُقال: عفَّ عن الشيء إذا كفَّ عنه، وتعفَّف إذا تكلَّف في الإمساك. **(تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ)** السيماء والسيمياء والسمة: العلامة التي يُعرَف بها الشيء، واختلفوا في معناها هاهنا، فقال مجاهد: هي التخشُّع والتواضع، وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقر، وقال الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع والضر، وقيل: رثاثة ثيابهم، **(لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا)** قال عطاء: إذا

---

(١) النور: ٣٣.

(٢) البقرة: ٢٧٣.



كان عندهم غداء لا يسألون عشاءً، وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداءً، وقيل: معناه ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ أصلًا لأنه قال: من التعفُّف، والتعفُّف ترْك السؤال[١].

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنه قال: إنَّ ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم. حتَّى إذا نفد ما عنده؛ قال: ما يكن عندي مِن خيرٍ فلن أدَّخِرَه عنكم. ومَن يَستعفِفْ يُعفَّه الله، ومن يستغنِ يُغنِه الله. ومن يَصبرْ يُصبِّرْه الله. وما أُعطيَ أحدٌ مِن عطاءٍ خير وأوسع من الصبر" رواه البخاري[٣].

وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول:" اللهمَّ إنِّي أسألك الهُدى والتُّقى، والعفاف والغِنى" رواه مسلم[٤].

قال النووي: أمَّا العفاف والعفَّة؛ فهو التنزُّه عمَّا لا يُباح، والكفُّ عنه، والغِنى هنا غِنى النفس، والاستغناء عن الناس وعمَّا في أيديهم[٥].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ثلاثةٌ حقٌّ على اللهِ عونُهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتَب الذي يُريد الأداء، والناكح الذي يُريد العفاف" رواه الترمذي[٦].

---

(١) تفسير البغوي (١/ ٣٣٨). معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(٢) النور: ٦٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٢٢) برقم (١٤٦٩) كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٢٩) برقم (١٠٥٣) كتاب الزكاة باب فضل التعفف والصبر.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٧) برقم (٢٧٢١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

(٥) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٤١).

(٦) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ١٨٤) برقم (١٦٥٥) أبواب فضائل الجهاد باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب. والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ٤٧) برقم (٤٩٩٥) كتاب العتق المكاتب. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ١٥٥).

والعفَّة الحقيقية الصحيحة لها شروط وضوابط؛ منها: أن لا يكون تعفُّفه عن الشيء انتظارًا لأكثر منه، أو لأنَّه لا يوافقه، أو لجمود شهوته، أو لاستشعار خوف من عاقبته، أو لأنَّه ممنوعٌ مِن تناوُله، أو لأنَّه غيرُ عارفٍ به لقصوره.

فإنَّ ذلك كلَّه ليس بعفة، بل هو إمَّا اصطياد، أو تطبُّب، أو مرض، أو عجز، أو جهل.

ولا ننسى أنَّ العفة سببٌ للنجاة من الابتلاءات والمضائق؛ كما جاء في قصَّة أصحاب الغار، الذين انطبقت عليهم الصخرة، فقال أحدهم: اللهمَّ إنْ كنتَ تعلمُ أنَّه كان لي ابنةُ عمٍّ مِن أحبِّ الناس إليَّ، وإنِّي راودتُها عن نفسِها فأبتْ إلَّا أن آتيها بمائة دينار؛ فطلبتُها حتَّى قدرتُ، فأتيتُها بها فدفعتُها إليها، فأمكنتْني مِن نفسها، فلما قعدتُ بين رجليها فقالتْ: اتقِ اللهِ، ولا تُفضَّ الخاتمَ إلَّا بحقِّه، فقمتُ وتركتُ المائة دينار، فإن كنتَ تعلم أنِّي فعلتُ ذلك مِن خشيتك ففرِّج عنَّا، ففرَّج الله عنهم فخرجوا. رواه البخاري(١).

الخلاصة : مِن أعجب ما يُروى عن العفَّة؛ ما ورد عن ابن سيرين حين يقول: ما غشيتُ امرأةً قطُّ في يقظةٍ ولا نومٍ غير أمِّ عبد الله (يعني زوجته)، وإنِّي لأرى المرأة في المنام فأعلمُ أنَّها لا تحلُّ لي فأصرفُ بصري. ممَّا جعل البعض يغبطه على هذه العفَّة فيقول: لَيتَ عَقلِي فِي اليَقَظَةِ كَعَقْلِ ابن سِيرين فِي المَنَامِ(٢).

ومن أجمل ما قيل عن العفَّة قول الإمام العالم الفقيه الشافعي- رحمه الله-:

عِفُّوا تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ فِي المحْرَمِ ... وَتَجَنَّبُوا مَا لَا يَلِيقُ بِمُسْلِمِ
إِنَّ الزِّنَا دَينٌ فإِنْ أقرضتَهُ ... كانَ الوفا مِن أهلِ بيتِكَ فَاعْلَمِ
يا هاتِكًا حُرَمَ الرِّجَالِ وَقَاطِعًا ... سُبُلَ المودَّةِ عِشتَ غَيرَ مُكَرَّمِ
لو كُنتَ حُرًّا مِنْ سُلالةِ مَاجدٍ ... مَا كُنتَ هَتَّاكًا لِحُرْمَةِ مُسْلِمِ
مَن يَزنِ يُزنَ بِهِ ولــــو بِجِدَارِهِ ... إنْ كُنتَ يَا هَــذَا لَبيبًا فَافْهَمِ(٣)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٢) برقم (٣٤٦٥) كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٩) برقم (٢٧٤٣) كتاب الرقاق باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٣/ ٤١٠). ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، المؤلف: جار الله الزمخشري توفي ٥٨٣ هـ، الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

(٣) ينظر: كشف الخفاء (٢/ ٧١). كشف الخفاء ومزيل الإلباس، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٤ جمادى الأولى

الصفح

الصفح يعني: ترك التثريب وعدم المؤاخذة، يُقال: صَفَحْتُ عن ذنب فلان وأَعرضتُ عنه فلم أُؤَاخذْه به، وضربتُ عن فلان صَفْحًا إِذا أَعرضتُ عنه وتركتُه.

وذكَر بعض أهل العلم أن الصفح مُشتقٌّ من صفحة العُنُق؛ لأنَّ الذي يصفح كأنَّه يُوِلِّي بصفحة العُنُق، إعراضًا عن الإساءة[١]، وقيل: هو إزالة أثر الذنب من النفس. وهو أبلغ من العفو. فقد يعفو الإنسان ولا يصفح. قال البيضاوي: العفو ترْك عقوبة المذِنِب، والصفح: ترْك لومه. ويدل عليه قوله تعالى:﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾ البقرة: [٢]، تَرقِّيًا في الأمر بمكارم الأخلاق من الحُسن إلى الأحسن، ومن الفضْل إلى الأفضل[٣].

وقال القرطبي: العفو: ترْك المؤاخذة بالذنب. والصفح: إزالة أثره من النفس[٤].

وقال سبحانه:﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ [٥]﴾.

قال ابن عباس– رضي الله عنهما–: مَن ترَك القصاص وأصلحَ بينه وبين الظالم بالعفو؛ ﴿ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾. أي: إنَّ الله يأجره على ذلك. قال مقاتل: فكان العفو من الأعمال الصالحة[٦].

وقال السعدي في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[٧]: لأنَّ الجزاء مِن جنس العمل. فمَن عفا عفا الله عنه، ومَن صفح صفح الله عنه، ومَن غفر غفر الله له، ومَن عامل الله فيما يُحبُّ، وعامل عباده كما يُحبُّون وينفعهم؛ نال محبَّة الله ومحبَّة عباده، واستوثق له أمره[٨].

---

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ١٧٠). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

(٢) البقرة: ١٠٩.

(٣) معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة (ص: ٣٦٢). معجم الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

(٤) تفسير القرطبي (٢/ ٧١).

(٥) الشورى: ٤٠.

(٦) تفسير القرطبي (١٦/ ٤٠).

(٧) التغابن: ١٤.

(٨) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٦٨).

وعن عبد الله بن عمر– رضي الله عنهما– قال: جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله؛ كم نعفو عن الخادم؟ فصمت صلى الله عليه وسلم، ثم أعاد عليه الكلام فصمت صلى الله عليه وسلم، فلما كان في الثالثة، قال صلى الله عليه وسلم:" اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرَّة" رواه أبو داود(١).

وقال الحسن بن عليٍّ– رضي الله عنهما–: لو أنَّ رجلًا شتَمني في أذني هذه، واعتذر في أُذني الأخرَى؛ لقبِلتُ عذرَه(٢).

وقال الفضيل بن عياض– رحمه الله–: إذا أتاك رجلٌ يشكو إليك رجلًا؛ فقل: يا أخي؛ اعفُ عنه؛ فإنَّ العفوَ أقربُ للتقوى، فإنَّ قال: لا يحتمِلُ قلبي العفوَ، ولكنْ أنتصرُ كما أمرَني الله عزَّ وجلَّ فقل له: إنْ كنتَ تُحسِنُ أن تنتَصِر، وإلَّا فارجعْ إلى باب العفو؛ فإنَّه بابٌ واسعٌ، فإنَّه مَن عفَا وأصلحَ فأجرُه على الله، وصاحِبُ العفو ينام على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يُقلِّب الأمور(٣)؛ لأنَّ الفُتُوَّةَ هي العفوُ عن الإخوان.

وكان صلى الله عليه وسلم أجمل الناس صفحًا، يتلقَّى من قومه الأذى المؤلِم فيُعرِض عن تلويمهم، أو تعنيفهم، أو مُقابلتهم بمثل عملهم، ثم يعود إلى دعوتهم ونُصْحهم كأنَّما لم يلقَ منهم شيئًا.

وفي تأديب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الأدب أنزل الله عليه في المرحلة المكيَّة قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ۝٨٥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾(٤)، ثم أنزل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾(٥)، فكان يُقابل أذى أهل الشرك بالصفح الجميل، وهو الصفح الذي لا يكون مقرونًا بغضبٍ أو كِبْرٍ أو تذمُّرٍ من المواقف المؤلِمة، وكان كما أدَّبه الله تعالى. ثم كان يُقابل أذاهم بالصفح الجميل، ويُعرِض قائلًا: سلامٌ.

وفي العهد المدنيّ لقي الرسول صلى الله عليه وسلم من يهود المدينة أنواعًا من الخيانة فأنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٤١) برقم (٥١٦٤) أبواب النوم باب في حق المملوك. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١١/ ١٦٤).

(٢) ينظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٣٠٢).

(٣) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ١١٢).

(٤) الحجر: ٨٥، ٨٦.

(٥) الزخرف: ٨٩.



يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[١]، فصبر الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم وعفا عنهم وصفح، حتَّى جاء الإِذْن الربانِيُّ بإجلائهم، ومُعاقبة ناقضي العهد منهم[٢].

وممَّا ورد من صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة؛ ما يَرويه الإمام البخاريُّ بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما-: قال الله تعالى في التوراة:" يَا أَيُّها النَّبيُّ؛ إنَّا أرسلناك شاهدًا ومُبشرًا وحِرزًا للأُمِّيين، أنتَ عبدي ورسولي، سَمَّيْتُكَ المتوكِّل ليس بفظٍّ، ولا غليظ، ولا صخَّاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتَّى يُقيمَ به المِلَّة العوجاء؛ بأن يقولوا: لا إله إلَّا الله، فيفتح به أعيُنًا عُميًا، وأذانًا صُمًّا، وقُلوبًا غُلفًا"[٣]، فالعفو والصفح صفةٌ مُلازِمةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

إذا كنتُ لا أعفو عن الذنْبِ مِن أخٍ ... وقلتُ أُكافيه؛ فأينَ التفاضلُ؟
فإنْ أقطعِ الإخوانَ في كُلِّ عُسرةٍ ... بقيتُ وحيدًا ليس لي مَن أُواصلُ
ولكنَّني أُغضي جُفُـــوني على القذَى ... وأصفحُ عمَّا رابني وأُجامـــلُ[٤]

وقال منصور بن محمد الكريزي:

سأُلزمُ نفسي الصفحَ عن كُلِّ مذنب ... وإنْ كثُـرتْ منـــــه إليَّ الجـرائمُ
ومـــا النـاسُ إلَّا واحـــدٌ مِـــن ثلاثةٍ ... شريفٌ ومشروفٌ ومثلي مُقاومُ
فأمَّا الذي فوقـــي فأعــرفُ فضـلَه ... وأتبـعُ فيه الحقَّ، والحـــــقُّ لازمُ
وأمَّا الذي دوني فإن قالَ صنتُ عن ... إجابتِه عِرضي وإن لامَ لائمُ
وأمَّا الـــذي مثلـــي فإن زلَّ أو هفــا ... تفضَّلتُ إنَّ الحلم للفضلِ حاكمُ[٥]

الخلاصة: قال ابن القيِّم- رحمه الله-: سمعتُ ابن تيمية يقول: ذَكَرَ الله الصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل؛ فالصبر الجميل الذي لا شكوى معه، والهجر الجميل الذي لا أذى معه، والصفح الجميل الذي لا عتاب معه[٦].

---

(١) المائدة: ١٣.

(٢) ينظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية (١/ ٤٢٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٦٦) برقم (٢١٢٥) كتاب البيوع باب كراهية السخب في السوق.

(٤) ينظر: العقد الفريد (٣/ ٨٠).

(٥) ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١١/ ٤٠٤).

(٦) بدائع الفوائد (٣/ ١١٢). بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.



وقال السعدي: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [١] ، وهو الصفح الذي لا أذية فيه، بل يُقابِل إساءة المسيء بالإحسان، وذنبَه بالغفران، لتنال مِن ربِّك جزيل الأجر والثواب، فإن كلَّ ما هو آتٍ فهو قريب، وقد ظهر لي معنى أحسن ممَّا ذكرتُ هنا. وهو أنَّ المأمور به هو الصفح الجميل أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القوليَّة والفعليَّة، دون الصفح الذي ليس بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلَّا العقوبة، وهذا هو المعنى[٢].

---

(١) الحجر: ٨٥

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٣٤).



٢٥ جمادى الأولى

علو الهمة

معنى الهمَّة لغةً: ما هَمَّ به من أمر ليفعله، تقول: إنه لعظيمُ الهَمِّ، وإنه لَصغيرُ الهِمَّة.

ومعنى علو الهمَّة اصطلاحًا: توجُّه القلب وقصْده بجميع قواه الروحانيَّة إلى جانب الحقِّ؛ لحصول الكمال له أو لغيره[١].

وقيل عُلو الهِمَّة: استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية[٢].

وقال المناوي: عظم الهمَّة عدم المبالاة بسعادة الدنيا وشقاوتها[٣].

وقال الراغب الأصفهاني: والكبير الهِمَّة على الإطلاق؛ هو مَن لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه، فلا يصير عبدَ رعاية بطنه وفرْجه، بل يجتهد أن يتخصَّص بمكارم الشريعة[٤].

وعرَّف ابن القيم علو الهمَّة بقوله: علو الهِمَّة ألَّا تقف النفس دون الله، وألَّا تتعوَّض عنه بشيءٍ سواه، ولا ترضى بغيره بدلًا منه، ولا تبيع حظَّها من الله، وقُرْبه والأنس به، والفرح والسرور والابتهاج به؛ بشيءٍ من الحظوظ الخسيسة الفانية، فالهِمَّة العالية على الهمم كالطائر العالي على الطيور، لا يرضى بمساقطهم، ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم، فإنَّ الهِمَّة كلَّما عَلَتْ بعدتْ عن وصول الآفات إليها، وكلَّما نزلتْ قصَدتْها الآفات[٥].

يقول عمر- رضي الله عنه-: لا تصغرنَّ هِمَّتَك؛ فإنِّي لم أرَ أقعَدَ بالرَّجُل من سُقوط هِمَّتِه[٦].

حاوِلْ جُسيماتِ الأمورِ ولا تقُلْ ... إنَّ المحَامِدَ والعُلا أرزاقُ

وارغبْ بنفسْكَ أن تكون مُقصِّـــرًا ... عنْ غايةٍ فيهـا الطُّلَّابُ سِباقُ[٧]

---

(١) التعريفات (ص: ٢٥٧).

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ (ص ٢٨). تهذيب الأخلاق، المؤلف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، نشر: دار الصحابة للتراث، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٤٣). التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٤) الذريعة الى مكارم الشريعة (ص: ٢٠٩). الذريعة إلى مكارم الشريعة، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ١٦٣).

(٦) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٨).

(٧) الدر الفريد وبيت القصيد (٦/ ٦٣).



وينقسم الناس وتتفاوتُ منازلُهم في الهِمَّة:

١- فمنهم مَن يطلب المعالي بلسانه، وليس له هِمَّة في الوصول إليها، ويصدُقُ عليه قول الشاعر:

وَمَا نَيلُ المطالبِ بالتَّمنِّي ولكنْ تُؤخَذُ الدُّنيا غِلابَا[١]

٢- ومنهم مَن لا يطلبُ إلَّا سفاسِف الأمور ودناياها، ويجتهد في تحصيلها، وهذا- إن اهتدى- يكون سبَّاقًا للخيرات:" خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام؛ إذا فقِهوا" رواه البخاري[٢].

٣- وفريق ساقِط الهِمَّة، يهوى سفاسف الأمور، ويقعد به العجز عنها، فهو من سقط المتاع، وهو كمَن وصف الشاعر:

إنِّي رأيتُ مِن المكارمِ حسبُكم أن تلبسوا خزَّ الثيابِ وتشبعوا
فإذا تُذوكرتِ المكـــارمُ يومًا في مجلـــسٍ أنتم به فتقنَّعوا[٣]

٤- وأعلى الهمم هِمَّة مَن تسمو مطالبُه إلى ما يُحبُّه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فهنيئًا له، ومِن أمثالهم: ربيعة الأسلمي وعكاشة بن محصن.

وإذا استعرضنا التاريخ نجد أنَّ الصفوة من الناس هم أصحاب الهمم العالية. ومن أمثلتهم:

١- ربيعة بن كعب الأسلمي الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: سل. فقال: أسألُكَ مرافقتَكَ في الجنة. رواه مسلم[٤].

٢- عكاشة بن محصن الذي بادر في حديث: يَدْخُلُ مِن أُمَّتي الجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بغيرِ حِسابٍ، فقال: ادعُ اللهَ أن يَجعلني مِنهم. رواه مسلم[٥].

٣- عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- يقول: إنَّ لي نفسًا توَّاقة، وما حقَّقتُ شيئًا إلَّا تاقتْ لما هو أعلى منه؛ تاقت نفسي إلى الزواج من ابنة عمِّي فاطمة فتزوجتُها، ثم تاقتْ نفسي إلى الإمارة فوُلِّيتُها، وتاقتْ نفسي إلى الخلافة فنلتُها، والآنَ تاقتْ نفسي إلى الجنَّة. فأرجو أن أكون من أهلها[٦].

---

(١) ينظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٢/ ٤٧، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٧) برقم (٣٣٧٤) كتاب أحاديث الأنبياء باب ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه﴾ [البقرة: ١٣٣] الآية.

(٣) ينظر: الحماسة المغربية (٢/ ١٣٤٥).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٥٣) برقم (٤٨٩) كتاب الصلاة باب فضل السجود والحث عليه.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٦) برقم (٢٧٨٨) كتاب الجهاد والسير باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء. ومسلم في صحيحه (١/ ١٧٩) برقم (٢١٦) كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب.

(٦) ينظر: البداية والنهاية (١٢/ ٦٥٧).



٤- أُهديتْ جاريةٌ جميلةٌ إلى عبد الرحمن الداخل فنظر إليها وقال: إنَّ هذه من القلب والعين بمكان، وإنْ أنا اشتغلتُ عنها بِهِمَّتي فيما أطلبه ظلمتُها، وإن اشتغلتُ بها عمَّا أطلبُه ظلمتُ هِمَّتي، ولا حاجةَ لي بها الآن، وردَّها على صاحبها[١].

ولا أؤخِّرُ شُغلَ اليومِ عن كسلٍ   إلى غدٍ؛ إنَّ يومَ العاجزينَ غَدُ[٢]

أمَّا الكسل والفتور وضعف الهِمَّة فسببٌ من أسباب الفشل والفقر والضياع.

كأنَّ التواني أنكحَ العجزَ بنتَهُ   وساقَ إليها حينَ أنكحَهَا مَهْرَا
فراشًا وطيئًا ثُمَّ قـالَ له: اتَّكِئْ   فَقُصْرَاكُمَا لا شكَّ أنْ تلِدَا فَقْرَا[٣]

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" والذي نفسي بيده؛ لولا أنَّ رجالًا من المسلمين لا تطيب أنفسهم أن يتخلَّفوا عنِّي، ولا أجد ما أحملهم عليه؛ ما تخلَّفتُ عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده؛ لودِدتُ أن أُقتلَ في سبيل الله ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أقتل"[٤]. فأيُّ همَّةٍ عاليةٍ أعلى من هذه الهِمَّة النبوية.

وكان صلى الله عليه وسلم القدوة في الهِمَّة العالية في العبادة؛ فعن عائشة- رضي الله عنها- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطَّر قدماه، فقالتْ له: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال:" أفلا أُحِبُّ أنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا" رواه البخاري[٥].

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٣/ ٤٢). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت – لبنان ص. ب ١٠، الطبعة: الجزء: ١ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢ – الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٣ – الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٤ – الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٥ – الطبعة: ١، ١٩٩٧.

(٢) ينظر: مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (١/ ١٦٢). مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، المؤلف: أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ).

(٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (١/ ٥٢٦). محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧) برقم (٢٧٩٧) كتاب الجهاد والسير باب تمني الشهادة. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٩٥) برقم (١٨٧٦) كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٣٥) برقم (٤٨٣٧) كتاب تفسير القرآن باب ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما﴾ [الفتح: ٢]. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٢) برقم (٢٨٢٠) كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.



وقال سبحانه وتعالى عن صفات عباده المؤمنين المخلصين: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [١].

قال السعدي: فهؤلاء الرجال هم أصحاب الهمم العالية، ليسوا ممَّن يُؤثِر على ربِّه دُنيا ذات لذَّات، ولا تجارة ومكاسب، مَشغَلَةً عنه، (لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ) وهذا يشمل كُلَّ تكسُّبٍ يُقصَد به العوض، فيكون قوله: (وَلَا بَيْعٌ) من باب عطف الخاص على العام، لكثرة الاشتغال بالبيع على غيره، فهؤلاء الرجال وإن اتَّجروا وباعوا واشتروا؛ فإنَّ ذلك لا محذور فيه، لكنه لا تلهيهم تلك بأن يُقدِّموها ويُؤثِروها على (عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم:" احرصْ على ما ينفعُكَ، واستعنْ باللهِ ولا تعجزْ" رواه مسلم[٣].

وقوله صلى الله عليه وسلم أيضًا:" لو يعلمُ الناس ما في النداء والصف الأول؛ ثُمَّ لم يجدوا إلَّا أن يستهموا عليه لاستهموا. ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه. ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا" رواه البخاري ومسلم[٤].

وقال ابن القيِّم- رحمه الله-: العلم والعمل توأمان؛ أمُّهما عُلو الهِمَّة[٥].

إذا تمنَّيتَ بِتُّ الليلَ مُغتبِطًا ... إنَّ المنى رأسُ أموالِ المفاليسِ[٦]

وقال ابن هانئ الأندلسي:

ولمْ أجِدْ الإنسانَ إلَّا ابنَ سعْيِهِ ... فمَن كانَ أسعَى كانَ بالمجدِ أجدَرَا

وبالهِمَّةِ العَلياءِ يَرقَى إلى العُــلا ... فمَن كانَ أرقَى هِمَّةً كـــان أظهَرَا

ولمْ يتأخَّــرْ مَن يُريدُ تقـــدُّمًا ... ولمْ يَتقدَّمْ مَــن يُريدُ تَأخّــــرًا[٧]

---

(١) النور: ٣٧.

(٢) ينظر: تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٦٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٢) برقم (٢٦٦٤) كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٦) برقم (٦١٥) كتاب الأذان باب الاستهام في الأذان. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٢٥) (٤٣٧) كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام.

(٥) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٧).

(٦) ينظر: عيون الأخبار (١/ ٣٧١). عيون الأخبار، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ.

(٧) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٥/ ٤٢، بترقيم الشاملة آليا).

الخلاصة: مَن تدبَّر وتأمَّل القرآن الكريم يجدْه تارةً يذمُّ مَن تدنَّستْ هِمَّتُه، مهما بلغتْ درجتُه بين الناس، كمَن أعطاه الله العلم ثم اشترى به ثمنًا قليلًا، فجعله عبرةً لغيره، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [1].

وتارةً يُثني على ذوي الهمم الراقية العالية، وفي قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾.[2] أصدقُ برهانٍ.

قال عليُّ بن أبي طالبٍ- رضي الله عنه-:

إذا أظْمَأتْك أكفُّ الرِّجالِ كفَتْكَ القناعةُ شِبَعًا وريًّا
فكنْ رُجــلًا رِجلُه في الثَّرى وهامَــــةُ هِمَّتِه في الثُّريَّا[3]

(١) الأعراف: ١٧٥، ١٧٦.

(٢) الأحزاب: ٢٣.

(٣)تاريخ الإسلام (٩/ ٣٩١) والشطر الأول من البيت الأول فيه هو: إذا أظمأتك أكف اللئام ...



٢٦ جمادى الأولى

الفطنة والذكاء

قال العسكري: الفِطْنَة: العلم بالشَّيء من وجْهٍ غامض[١]. وقال الرَّاغب: الفِطْنَة: سرعة إدراك ما يُقْصَد إشكاله[٢]. وقال أبو البقاء الكفوي: الفِطْنَة: التَّنَبُّه للشَّيء الذي يُقْصَد معرفته[٣].

أمَّا الذَّكَاءُ فهو خلاف البَلادَة، وهو تمام الفطنة. وقيل: هو شدَّة الحدس وكماله وبلوغه الغاية القصوى؛ وذلك لأنَّ الذكاء هو المضاء في الأمر، وسرعة القطع بالحق، وسرعة الإدراك، وحِدَّة الفهم؛ كقولهم: فلان هو شعلة نار.

أمّا الذَّكاء فهو كما قال المناوي: سرعة الإدراك، وحِدَّة الفهم[٤]. وقال أبو البقاء الكفوي: الذكاء: شدَّة قُوَّة النفس، مُعدَّةٌ لاكتساب الآراء بحسب اللغة. وقد يُستعمَل في الفطانة، يُقال: رجلٌ ذكيٌ، وفلانٌ من الأذكياء، يريدون به المبالغة في فطانته[٥].

قال الشَّاعر في الذَّكاء؛ والذي معناه تَمام الفِطْنَة:

شهم الفؤادِ ذكاؤه مَا مِثْلُهُ   عندَ العزيمةِ في الأَنامِ ذَكَاءُ[٦]

وقال علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-: اليقين على أربع شعب: تبصرة الفِطْنَة، وتأويل الحِكْمة، ومعرفة العبرة، وسنَّة الأولين. فمَن تبصَّر الفِطْنَة تأوَّل الحِكْمة، ومن تأوَّل الحِكْمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنَّما كان في الأوَّلين[٧].

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٨٥).

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة (ص: ١٤٣).

(٣) الكليات (ص: ٦٧).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١٧١).

(٥) الكليات (ص: ٤٥٦).

(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٦٦). الزاهر في معاني كلمات الناس، المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

(٧) اليقين لابن أبي الدنيا (ص: ٣٥). اليقين لابن أبي الدنيا، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، حققه وعلق عليه: ياسين محمد السورس، الناشر: دار البشائر الإسلامية.



وقال ابن الجوزي: اعلمْ أنَّ فضيلة هذه الأمَّة على الأمم المتقدِّمة، وإنْ كان ذلك باختيار الحقِّ لها وتقديمه إيَّاها، إلَّا أنَّه جعل لذلك سببًا؛ كما جعل سبب سجود الملائكة لآدم عليه السلام علمه بما جهلوا، فكذلك جعل لتقديم هذه الأمَّة سببًا هو الفِطْنَة والفهم، واليقين وتسليم النُّفوس[١].

قال الله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ﴾[٢].

قال ابن مسعود- رضي الله عنه-: الحرث: كَرْمٌ قد أنبتتْ عَنَاقيده، فأفسدتْه الغنم، قال: فقضى داود بالغنم لصاحب الكَرْم، فقال سليمان: غيرُ هذا يا نبيَّ الله؟! قال: وما ذاك ؟ قال: تَدْفَع الكَرْم إلى صاحب الغنم، فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكَرْم، فيصيب منها، حتى إذا كان الكَرْم كما كان، دفعتَ الكَرْم إلى صاحبه، ودفعتَ الغنم إلى صاحبها، فذلك قوله: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ﴾[٣][٤].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: بينما امرأتان معهما ابناهما، جاء الذِّئب فذهب بابن إحداهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنَّما ذهبَ بابنكِ أنتِ، وقالت الأخرى: إنَّما ذهبَ بابنكِ، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السَّلام فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسِّكِّين أشقُّه بينكما، فقالت الصُّغرى: لا، يرحمك الله هو ابنها، فقضى به للصُّغرى. رواه البخارى ومسلم[٥].

وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم النَّاس، وقال: إنَّ الله خيَّر عبدًا بين الدُّنْيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله. قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبدٍ خُيِّرَ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخَيَّر، وكان أبو بكر أعلمَنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ أمنَّ النَّاسِ

---

(١) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٤٩٥). التبصرة لابن الجوزي، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

(٢) الأنبياء: ٧٨.

(٣) الأنبياء: ٧٩.

(٤) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٦/ ٣٢٢).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٦٢) برقم (٣٤٢٧) كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾ الراجع المنيب. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٤) (١٧٢٠) كتاب الأقضية باب بيان اختلاف المجتهدين.



عليَّ في صُحبتِه ومالِه أبو بكر، ولو كنتُ مُتَّخِذًا خليلًا- غير ربِّي- لاتَّخذتُ أبا بكرٍ، ولكن أخوة الإسلام ومودَّته، لا يبقينَّ في المسجد بابٌ إلَّا سُدَّ، إلَّا بابُ أبي بكرٍ. رواه البخارى ومسلم(١).

قال ابن الجوزي : هذا الحديث قد دلَّ على فِطْنَة أبي بكر، إذْ عَلِم أنَّ المخَيَّر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢).

وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ مِن الشَّجر شجرةً لا يسقط ورقُها، وإنَّها مَثَلُ المسلم، فحدِّثوني ما هي؟ فوقع النَّاس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنَّها النَّخلة، فاستحييتُ، ثم قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: فقال: هي النَّخلة، قال: فذكرتُ ذلك لعمر، قال: لأن تكون قلتَ: هي النَّخلة، أحبُّ إليَّ من كذا وكذا. رواه البخارى ومسلم(٣).

وتنقسم الفِطْنَة إلى قسمين :

١- فِطْنَة موهوبة من الله- تبارك وتعالى- لمن يشاء مِن عباده، فينير بصيرته، ويُفَهِّمه ما لا يفهم غيره، فتراه قويَّ الملاحظة، سريع الفهم، نافذ البصيرة، ذكيَّ القلب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

٢- فِطْنَة مُكتسبة تجريبيَّة تتحصَّل للمرء باجتهاده، وكثرة تجاربه، ومعاشرته لأهل العلم والذَّكاء والفِطْنَة، والاستفادة منهم ومن تجاربهم، فيتولَّد عنده من الذَّكاء والفِطْنَة ومعرفة الأمور ما لم يكن لديه.

وقال المتنبي:

لا يُدْرِكُ المجْدَ إلَّا سَيِّدٌ فَطِنٌ ... لِمَا يَشُقُّ على السَّادَاتِ فَعَّال
لا وارثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاه مـا وَهَبَتْ ... ولا كَسـُوبٌ بغير السَّيفِ سَئَّالُ(٤)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٠٠) برقم (٤٦٦) كتاب الصلاة باب الخوخة والممر في المسجد. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٥٤) (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ١٤٦). كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض، سنة النشر: بدون.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٢) برقم (٦١) كتاب العلم باب قول المحدث: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٦٤) (٢٨١١) كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب مثل المؤمن مثل النخلة.

(٤) ينظر: الحماسة المغربية (١/ ٥٣٩). والبيت الأول في ديوان المتنبي (ص: ١١٦) إلا أن البيت الثاني ليس فيه. ديوان المتنبي، المؤلف: أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الكوفي (٣٠٣هـ -٣٥٤ هـ).



جاء رجُلٌ إلى أبي حازم، فقال له: إنَّ الشَّيطان يأتيني، فيقول: إنَّك قد طلَّقتَ زوجتكَ، فيشكِّكُني، فقال له: أو ليس قد طلَّقتَها ؟ قال: لا، قال: ألم تأتني أمسِ فطلَّقتَها عندي، فقال: واللهِ ما جئتُك إلَّا اليومَ، ولا طلَّقتُها بوجهٍ من الوجوه، قال: فاحلفْ للشَّيطان إذا جاءك، كما حلفتَ لي، وأنت في عافية(١).

ذو العقلِ يسخو بعيشِ ساعتِه وبالذي بعدَها تشحُّ يدُه
وكـــــــلُّ ذي فِطْنَةٍ ومعـــرفةٍ أهمُّ مِن يومِه عليه غدُه(٢)

ومن فِطْنَة النَّبي صلى الله عليه وسلم الفِطْرِيَّة ما كان في غزوة بدر وأخبر به علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- قال: لما قدمنا المدينة، أصبنا من ثمارها فاجتَوَيناها (أي كرهنا المقام بها)، وأصابنا بها وَعْكٌ، وكان النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يتخبَّر عن بدر، فلمَّا بلَغَنا أنَّ المشركين قد أقبلوا، سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر- وبدرٌ بئرٌ-، فسبَقَنا المشركون إليها، فوجدنا فيها رجُلَينِ منهم، رجلًا من قريش، ومولى لعقبة بن أبي مُعَيط، فأمَّا القرشي: فانفلتَ، وأمَّا مولى عقبة: فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هُمْ- والله- كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون-إذ قال ذلك- ضربوه حتى انتهوا به إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: كم القوم؟ قال: هُمْ- والله- كثيرٌ عددُهم، شديدٌ بأسُهم. فجهد النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يُخبرَه كم هم؟ فأبَى، ثمَّ إنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم سأله: كم ينحرون من الجُزر؟ فقال: عشرًا كلَّ يوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القوم ألْفٌ، كلُّ جَزُور لمائة وتبعها. رواه أحمد(٣).

الخلاصة: أن الفطنة والذكاء منحة وعطيَّة إلٰهية؛ ولكن يُزَكِّيها صاحبها ويُنمِّيها باجتهاده، وكثرة تجاربه، ومُعاشرته لأهل العلم والذَّكاء والفِطْنَة، والاستفادة منهم ومِن تجاربهم.

(١) ينظر: الأذكياء (ص: ٦٨). كتاب الأذكياء، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: مكتبة الغزالي.

(٢) ينظر: التمثيل والمحاضرة (ص: ١٠٣). التمثيل والمحاضرة، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٩) برقم (٩٤٨).



٢٧ جمادى الأولى

كتمان السر

السِرُّ: ما تكتمه وتُخفيه، وهو خلاف الإعلان، وجمعه أسرار، والسَّرِيرةُ: كالسِّرِ، والجمع السَّرائر، وأسْرَرْتُ الحديثَ إسرارًا أخفيتُه. والسِّرُ اصطلاحًا: الحديثُ المكتتم في النفس.

وقد أُمرنا بحفظ أسرارنا أوَّلًا؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإنَّ كلَّ ذي نعمةٍ محسودٌ" رواه الطبراني(١). لأن في الكتمان قضاء الحوائج، وإنجاح المقاصد، وبلوغ الغايات.

وما أحسن ما قال الشاعر:

أجــودُ بمكنــون التِّــلادِ وإنَّــني ... بِســرِّي عمَّــن ســألني لضــنينُ
وإنْ ضيَّعَ الأقـــــوامُ سِرِّي فإنَّني ... كتومٌ لأســــرارِ العشيرِ أمينُ(٢)

كما أُمرنا بحفظ أسرار غيرنا، سواءً أخبرَنا أنَّه سِرٌّ أم لم يُخبرنا، عن جابر- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إذا حدَّث الرَّجُلُ بالحديثِ ثم التفتَ فهي أمانة" رواه أبو داود(٣).

ولأن الكرام ينأون بأنفسهم عن أخلاق اللئام؛ فقد رأينا هؤلاء الكرام يُربُّون أبناءهم على حفْظ الأسرار وعدم إشاعتها، فهاهي أم الصحابي الجليل أنس بن مالك- رضي الله عنهما- يتأخَّر عليها ولدها أنس، فتسأله: ما حَبَسَك؟ قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة. قالت: ما حاجتُه؟ قال: إنَّها سِرٌّ. قالتْ: لا تُحدِّثنَّ بِسِرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا. قال أنس: واللهِ لو حدَّثتُ به أحدًا لحدَّثتُك يا ثابت (راوي الحديث عن أنس). رواه مسلم(٤).

وهذه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم- رضي الله عنها- تضرب لنا مثالًا في أمانة حفظ السِّرِ، كما روت أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-: إنَّا كُنَّا أزواج النَّبي صلى الله عليه وسلم عنده

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٥٥) برقم (٢٤٥٥). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٤٣٦).

(٢) البيتان لقيس بن الحطيم كما في المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ٢١٥).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٦٧) برقم (٤٨٦٨) كتاب الأدب باب في نقل الحديث. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٨١).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٢٩) (٢٤٨٢) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه.



جميعًا لم تغادرْ منَّا واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي ما تُخطئ مشيتَهَا من مِشيةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها رحَّب، قال: مرحبًا بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه- أو عن شماله- ثم سارَّها، فبكت بُكاءً شديدًا، فلمَّا رأى حُزْنَهَا سارَّها الثانية، فإذا هي تضحك، فقلتُ لها: أنا من نسائه؛ خصَّكِ رسول الله بالسِّرِّ من بيننا ثم أنتِ تبكين! فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتُها عمَّا سارَّها؟ قالت: ما كنتُ لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سرَّه، فلما تُوفِّي قلتُ لها: عزمتُ عليك- بما لي عليكِ من الحق- لما أخبرتني! قالت: أمَّا الآن فنعم، فأخبرتْني قالت: أمَّا حين سارني في الأمر الأوَّل؛ فإنَّه أخبرني أنَّ جبريل- عليه السلام- كان يعارضه بالقرآن كلَّ سنةٍ مرَّة، وإنَّه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلَّا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنِّي نعم السَّلف أنا لك، قالت: فبكيتُ بكائي الذي رأيتِ، فلمَّا رأى جزعي سارَّني بالثانية، قال: يا فاطمة؛ ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة" رواه البخاري[١].

وذات يوم أَسَرَّ معاوية إلى الوليد بن عتبة حديثًا فقال الوليد لأبيه: يا أبت؛ إنَّ أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثًا، وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك. قال: فلا تُحدِّثني به، فإنَّ مَن كتم سرَّه كان الخيار له، ومَن أفشاه كان الخيار عليه. قال الوليد: يا أبتِ؛ وإنَّ هذا ليدخل بين الرجل وبين أبيه؟ قال: لا واللهِ يا بُني، ولكن لا أحبُّ أن تُذلِّل لسانك بأحاديث السِّرِّ. قال الوليد: فأتيتُ معاوية فأخبرته، فقال: يا وليد؛ أعتقك أخي من رِّق الخطأ[٢]، فإفشاء السر خيانة.

نعم؛ إفشاء السر خيانة وجريمة لا تغتفر، ولا يُؤتمن فاعلها على شيء قط، حدث أن ولَّى عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قدامة بن مظعون بدل المغيرة، وأمره ألَّا يُخبر أحدًا، ولكنه أخبر زوجته، ولم يكن له زاد، فتوجَّهت امرأته إلى دار المغيرة وقالت لهم: أقرضونا زادًا لراكبٍ، فإنَّ أمير المؤمنين ولَّى زوجي الكوفة، فأخبرتْ امرأة المغيرة زوجها، فجاء عمر واستأذن عليه وقال له: ولَّيتَ قدامة الكوفة، وهو رجل قوي وأمين، فقال: ومَن أخبركَ؟ قال: نساء المدينة يتحدَّثن به، فقال : اذهب وخذ منه العهد[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٠٣) برقم (٣٦٢٣) كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٠٤) (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام.

(٢) الصمت لابن أبي الدنيا (ص: ٢١٤). الصمت وآداب اللسان، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: أبو إسحاق الحويني، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠.

(٣) ينظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (١/ ١٦٠).



وعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ طلب بنو قريظة منه صلى الله عليه وسلم أن يرسل إليهم أبا لبابة بن عبد المنذر لاستشارته فيما عرض عليهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فقاموا إليه يبكون، قال: كيف ترى لنا؟ أننزل على حكم محمد ؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه- يقول- إنَّه الذبح، ثم علم من فوره أنه خان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فمضى ولم يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتى مسجد المدينة، فربط نفسه بسارية، وحلف ألَّا يحلَّه إلَّا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وألَّا يدخل أرض بني قريظة أبدًا، ثم تركه النبي صلى الله عليه وسلم حتَّى تاب الله عليه فحلَّه بيده[١]. (تفسير ابن كثير).

ومن أهمِّ الأسرار التي أُمرنا بحفظها أسرار البيوت، وما يكون بين الرجل وامرأته من أسرارٍ؛ وخاصة أسرار العلاقة الزوجية الحميمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ مِن أشرِّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامة؛ الرَّجُلُ يُفضي إلى امرأته، وتُفضي إليه، ثُمَّ ينشر سرَّها" رواه مسلم[٢].

وفي حديث أسماء بنت يزيد أنَّها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والرِّجال والنِّساء قعودٌ عنده، فقال صلى الله عليه وسلم في موعظةٍ يعظ بها الرِّجال والنِّساء: لعل رجلًا يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأةً تُخبر بما فعلتْ مع زوجها؟ فأرم القوم يعني: سكتوا، فقلتُ- القائلة أسماء بنت يزيد-: إي والله يا رسول الله؛ إنَّهنَّ ليقُلنَ، وإنَّهم ليفعلون" يعني: هذا موجودٌ في المجتمع، فهناك أناسٌ يتحدَّثون بأسرار الاستمتاع الزَّوجي، قال صلى الله عليه وسلم:" فلا تفعلوا، (نهى عنه أولًا، ثُمَّ ضرب له مثلًا قبيحًا جدًّا ليُنفِّرَ منه) فإنَّما ذلك مثل الشِّيطانِ لقي شيطانةً في طريقٍ، فغشيها والنَّاس ينظرون" رواه أحمد[٣].

وأحمق الناس مَن أفشى سِرَّه ثم لام غيره على ذلك؛ قال عمرو بن العاص- رضي الله عنه-: ما وضعتُ سِرِّي عند أحدٍ فأفشاه عليَّ فلُمتُه؛ أنا كنتُ أضيق به حيث استودعتُه إياه[٤].

إذا المـرءُ أفشـى سـرَّه بلسانـهِ ولامَ عليـه غيـرَه فهـو أحمـقُ
إذا ضاقَ صدرُ المرءِ عن سِرِّ نفسِه فصدرُ الـذي يُستودَعُ السِّرَّ أضيقُ[٥]

---

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ١٢٠). زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٦٠) برقم (١٤٣٧) كتاب النكاح باب تحريم إفشاء سر المرأة.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤٥/ ٥٦٤) برقم (٢٧٥٨٣). والحديث قال عنه الألباني: "فالحديث بهذه الشواهد صحيح أو حسن على الأقل." آداب الزفاف في السنة المطهرة (ص: ١٤٤). آداب الزفاف في السنة المطهرة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار السلام، الطبعة: الطبعة الشرعية الوحيدة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٤) الصمت لابن أبي الدنيا (ص: ٢١٤).

(٥) الدر الفريد وبيت القصيد (٢/ ٣٢١).



والصديق الصالح هو من يكتم سرَّ صديقِه، وقد بالغ البعض في كتم السرِّ، فيُحكى أَنَّ رَجُلًا أَسَرَّ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ حَدِيثًا ثُمَّ قَالَ: أَفَهِمْتَ؟ قَالَ: بَلْ جَهِلْتُ. قَالَ: أَحَفِظْتَ؟ قَالَ: بَلْ نَسِيتُ(١).

وقيل لأعرابيٍّ: ما بلغ من حفظك للسرِّ؟ قال: أمزِّقه تحت شغاف قلبي ثم أجمعه، وأنساه كأني لم أسمعه(٢).

وقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في كتم السرِّ، فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمر أنَّ عمر- رضي الله عنه- حين تأيمتْ بنتُه حفصة من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد بدرًا، تُوفِّي بالمدينة، قال عمر: فلقيتُ عثمان بن عفان فعرضتُ عليه حفصة، فقلتُ: إن شئتَ أنكحتُك حفصة بنت عمر، قال: سأنظر في أمري، فلبثتُ ليالي، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيتُ أبا بكرٍ، فقلتُ: إن شئتَ أنكحتُك حفصة بنت عمر، فصمتَ أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئًا، فكنتُ عليه أوجد منِّي على عثمان، فلبثتُ ليالي ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتُها إياه، فلقيني أبو بكرٍ فقال: لعلك وجدتَ عليَّ حين عرضتَ عليَّ حفصة فلم أرجع إليك؟ قلتُ: نعم، قال: فإنَّه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضتَ، إلَّا أنِّي قد علمتُ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها لقبلتُها(٣).

الخلاصة: مِن أجمل وأروع النصائح؛ نصيحة العبَّاس بن عبد المطلب لابنه عبد الله: إنِّي أرى هذا الرَّجُل- يعني عمر بن الخطاب- يُقدِّمُك على الأشياخ؛ فاحفظْ عنِّي خمسًا: لا تفشينَّ له سرًّا، ولا تغتابنَّ عنده أحدًا، ولا تجرينَّ عليه كذبًا، ولا تعصينَّ له أمرًا، ولا يَطَّلِعَنَّ منك على خيانة(٤). فليتَنا نُربِّي أولادنا على هذا الخلق القويم.

---

(١) ينظر: أدب الدنيا والدين (ص: ٣٠٩).

(٢) ينظر: غرر الخصائص الواضحة (ص: ٥٧٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٨٣) برقم (٤٠٠٥) كتاب المغازي باب بدون ترجمة.

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين (٢/ ١٧٩).



٢٨ جمادى الأولى

القناعة

القناعة لغة: مِن قنع يقنع قناعة إذا رضي. واصطلاحًا: الرضا بالقَسم وبما أعطى الله.

ويُوضِّح هذا ما ذكره سلمان الفارسي- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عهد إليه:" أنَّه يكفي أحدكم مثل زاد الراكب" رواه ابن ماجه(١).

وقولُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم:" مَن أصبح منكم آمنًا في سِرْبِه، مُعافىً في جسده، عنده قوتُ يومِه؛ فكأنَّما حِيْزَت له الدنيا " رواه الترمذي وابن ماجه(٢).

وللقناعة فضائل كثيرة دلَّت عليها السنة النبوية، منها:

١- أنَّها سببٌ لفلاح صاحبها: فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" قد أفلحَ مَن أسلمَ، ورُزِقَ كفافًا، وقنَّعه اللهُ بما آتاه " رواه مسلم(٣). قال المناوي:(كفافًا) ما كفاه في أمر دنياه، وكفَّه عما سواه(٤).

٢- القناعة تُكسب صاحبها محبَّة الله ومحبَّة الناس، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم:" ازهدْ في الدُّنيا يحبَّك الله، وازهدْ فيما في أيدي الناس يُحبَّك النَّاس" رواه ابن ماجه(٥).

فعلى قدر ما يقنع الإنسانُ عمَّا في أيدي الناس؛ على قدر ما تأنس إليه نفوسهم، وتطمئن له قلوبهم، ذلك أنَّ الناس لا يُحبُّون مَن يتطلَّع لما في أيديهم من الأموال، فهو عفيفٌ عمَّا في أيدي الناس، وقلبه مُتعلِّقٌ بالله وبمحبَّته، فلذلك ليس في قلبه التفاتٌ للدنيا وزخرفها، فاستحقَّ محبَّة الله ومحبَّة الناس.

٣- أنَّها سببٌ لنيل الثناء وطيب العيش: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" طُوبى لمن هُدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافًا وقنع" رواه الترمذي(١).

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٧٤) برقم (٤١٠٤) كتاب الزهد باب الزهد في الدنيا. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ١٠٤).

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٥٧٤) برقم (٢٣٤٦) أبواب الزهد باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٨٧) برقم (٤١٤١) كتاب الزهد باب القناعة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ١٤١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٣٠) برقم (١٠٥٤) كتاب الزكاة باب في الكفاف والقناعة.

(٤) من قول الملا علي القاري كما في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٣٤).

(٥) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٧٣) برقم (٤١٠٢) كتاب الزهد باب الزهد في الدنيا. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٦٢٤).



٤- أنَّ القناعة تُورث صاحبها غنى النفس واستعلاءها عن الشهوات والملذات: وهو ما قرَّره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:" ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكنَّ الغنى غنى النفس" رواه البخاري ومسلم[٢]. وفي الحديث الصحيح:" يا ابن آدم؛ ارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس" رواه مسلم[٣].

٥- القناعة تُورث صاحبها العزَّة، وتكفُّ وجهَه عن الذُّلِّ للمخلوقين: ففي الحديث أنَّ جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم:" يا محمد؛ شرفُ المؤمنِ قيامُ الليلِ، وعِزُّه استغناؤه عن الناس" رواه الحاكم وصحَّحه الذهبي[٤].

٦- القناعة تمنح صاحبها رضا الله وهو غاية المقصود: فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإنَّ الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمَن رضي فله الرضا، ومَن سخط فله السخط " رواه الترمذي وابن ماجه[٥].

٧- أنَّ بالقناعة يتحقَّق شكر العبد لربه: ففي الحديث أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي هريرة-رضي الله عنه-:" وكن قنعًا تكن أشكر الناس" رواه ابن ماجه[٦].

لأنَّ الطامع المستشرِف للدنيا قَلَّ أن يشكر الله على نعمِهِ، إذ إنه يرى نفسه محرومًا مُهانًا، فهو ساخطٌ على أقدار الله، فكيف يتحقَّق في قلبه معنى الشكر، وهو يحمل هذا الكمَّ من الطمع والسخط؟!

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٣٦٩) برقم (٢٣٩٤٤). والترمذي في جامعه (٤/ ٥٧٦) برقم (٢٣٤٩) أبواب الزهد باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٨٦) برقم (١١٧٩٣) كتاب الرقائق. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ١٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٥) برقم (٦٤٤٦) كتاب الرقاق باب الغنى غنى النفس. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٢٦) (١٠٥١) كتاب الزكاة باب ليس الغنى عن كثرة العرض.

(٣) لم أقف عليه في صحيح مسلم، لكن رواه أحمد في مسنده (١٣/ ٤٥٨) برقم (٨٠٩٥). والترمذي في جامعه (٤/ ٥٥١) برقم (٢٣٠٥) أبواب الزهد باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٨٦) برقم (١١٧٩٣) كتاب الرقائق. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٦٠٠).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٣٠٦) برقم (٤٢٧٨). والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٣٦٠) برقم (٧٩٢١).

(٥) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٦٠١) بعد الحديث رقم (٢٣٩٦) أبواب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٣٨) برقم (٤٠٣١) كتاب الفتن باب الصبر على البلاء. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٣١).

(٦) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤١٠) برقم (٤٢١٧) كتاب الزهد باب الورع والتقوى. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٢١٧).



٨- أنَّ التحلي بالقناعة سببٌ لنيل البركة في الرزق: ففي الحديث عن حكيم بن حزام- رضي الله عنه- قال: سألتُ النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاني، ثم سألتُه فأعطاني، ثم سألتُه فأعطاني، ثم قال لي:" يا حكيم؛ إنَّ هذا المال خضرة حلوة، فمَن أخذه بطيب نفسٍ بُورك له فيه" رواه البخاري ومسلم(١).

ولقد كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم رمزًا للقناعة والرضا بما قسم الله تعالى له؛ فعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيرٍ، فقام وقد أثَّر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله؛ لو اتَّخذنا لك وطاء، فقال:" ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلَّا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ، ثُمَّ راح وتركها" رواه الترمذي(٢).

وفي تفسير قوله تعالى:﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٣). قال محمد بن كعب: "حَيَاةً طَيِّبَةً" هي القناعة(٤). وفسَّرها عليُّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- أيضًا بالقناعة(٥).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن يأخذ عني هؤلاء الكلماتِ فيعمل بهنَّ، أو يُعلِّم مَن يعمل بهنَّ؟ قلتُ: أنا يا رسول الله، فأخذ يدي فعدَّ خمسًا، فقال: اتَّقِ المحارمَ تكن أعبدَ الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسِنْ إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحبَّ للناس ما تحبُّ لنفسك تكن مُسلمًا، ولا تُكثرِ الضَّحك؛ فإنَّ كثرة الضَّحك تُميتُ القلب" رواه الترمذي(٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٣) برقم (٦٤٤١) كتاب الرقاق باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا المال خضرة حلوة». ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٧) (١٠٣٥) كتاب الزكاة باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٥٨٨) برقم (٢٣٧٧) أبواب الزهد باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٣٧٧).

(٣) النحل: ٩٧.

(٤) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/ ١٦٤). الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

(٥) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٤٤١).

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٣/ ٤٥٨) برقم (٨٠٩٥). والترمذي في جامعه (٤/ ٥٥١) برقم (٢٣٠٥) أبواب الزهد باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٨٦) برقم (١١٧٩٣) كتاب الرقائق. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٦٠٠).



هي القناعةُ لا ترضَى بها بدلًا　　فيها النعيمُ وفيها راحةُ البدنِ
انظرْ لمن ملَك الدُّنيا بأجمعِهـــا　　هل راحَ منها بغيرِ القطـنِ والكفنِ[١]

وقال سبحانه: ﴿ وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [٢]. قال الطبري: وأمَّا القانع الذي هو بمعنى المكتفي؛ فإنَّه مَن قنِعتُ بكسر النون، أقنع قناعة وقنعًا وقنعانًا[٣].

وقال سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه- لابنه: يا بُنيَّ؛ إذا طلبتَ الغنى فاطلبْه بالقناعة، فإنَّها مالٌ لا ينفد[٤].

وقال أبو محرز الطفاوي: شكوتُ إلى جاريةٍ لنا ضيق المكسب عليَّ وأنا شابٌّ، فقالتْ لي: يا بُنيَّ؛ استعنْ بعزِّ القناعة عن ذُلِّ المطالب، فكثيرًا واللهِ ما رأيتُ القليل عاد سليمًا. قال أبو محرز: ما زلتُ بعدُ أعرف بركة كلامها في قنوعي[٥].

وكان محمد بن واسع يبلُّ الخبز اليابس بالماء ويأكل ويقول: مَن قنع بهذا لم يحتجْ إلى أحدٍ[٦].

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو:" اللهمَّ قنِّعني بما رزقتَني، وباركْ لي فيه، واخلفْ على كلِّ غائبةٍ لي بخيرٍ" رواه الحاكم[٧].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضًا:" مَن يكفُل لي أن لا يسألَ أحدًا شيئًا؛ وأتكفَّل له بالجنة؟ فقال ثوبان: أنا. فكان لا يسأل أحدًا شيئًا. رواه أحمد[٨].

والخلاصة: على المرء أن ينظر في أمور الدنيا لمن هو دونه؛ ليرى فضْل الله عليه فيقنع به ولا يزدريه، ففي الحديث:" انظروا إلى مَن أسفل منكم، ولا تنظروا إلى مَن هو فوقكم، فهو أجدر أن لا

---

(١) ينظر: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٥٣٧). غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة قرطبة – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.

(٢) الحج: ٣٦.

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان (١٦/ ٥٦٩).

(٤) ينظر: شرح مقامات الحريري (٢/ ١٠٧). شرح مقامات الحريري، المؤلف: أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي الشُّريشي (المتوفى: ٦١٩ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ.

(٥) صفة الصفوة (٢/ ٢٥٨). صفة الصفوة، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٦) ينظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٢٣٩).

(٧) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٦٩٠) برقم (١٨٧٨). والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٣/ ٩١).

(٨) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٥٧) برقم (٢٢٣٧٤). وأبو داود في سننه (٢/ ١٢١) برقم (١٦٤٣) كتاب الزكا باب كراهية المسألة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٤/ ١٤٣).

تزدروا نعمة الله عليكم" رواه مسلم[1]، وفي حديث آخر:" إذا رأى أحدُكم مَن فوقه في المال والحسب؛ فلْينظرْ إلى مَن هو دونه في المال والحسب" رواه ابن حبَّان[2].

وقال الإمام ابن تيمية:

وجدتُ القناعةَ ثوبَ الغِنى فصـــرتُ بأذيالِهـــا أتَمسَّـــكْ
فألبسَـــنِي جاهُهـــا حُلـــةً يَمـــرُّ الزمـــانُ ولم تُنتَهَـــكْ
فصـرتُ غنيًّا بلا درهـــــمٍ أمـــرُّ عزيزًا كـــأنِّي مَلِكْ[3]

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٥) برقم (٢٩٦٣) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٩٠) برقم (٧١٤). والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ١٤٠).

(٣) ينظر: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٥٣٨).



٢٩ جمادى الأولى

كظم الغيظ

الكظم لغةً الإمساك والجَمعُ للشَّيء[١]، أمَّا الغيظ فيعني في اللغة الغَضَب، وقيل أيضًا: الغَيْظ غَضَبٌ كامنٌ للعاجز[٢]، وهو أشدُّ من الغَضَب.

ومعنى كَظْم الغَيْظ اصطلاحًا: هو السكوت عن الغضب؛ وعدم إظهاره بقولٍ أو فعلٍ، مع قُدْرته على إيقاعه بعدوِّه[٣].

وفي الحديث:" مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وهوَ قادِرٌ على أنْ يُنْفِذَهُ؛ دعاهُ اللهُ سبحانَهُ على رُؤوسِ الخَلائِقِ يومَ القيامةِ حتَّى يُخَيِّرَهُ مِن الحُورِ العِينِ ما شاءَ" رواه أبو داود[٤].

عن ابن عمر- رضي الله عنهما-: أنَّ رجلًا جاء إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله؛ أيُّ النَّاس أحبُّ إلى الله؟ وأيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أحبُّ الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى سرورٌ يُدخله على مسلمٍ، أو يكشف عنه كُربةً، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخٍ في حاجةٍ أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد- يعني مسجد المدينة- شهرًا، ومَن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومَن كظم غيظه- ولو شاء أن يمضيه أمضاه- ملأ الله قلبَه رجاءً يوم القيامة، ومَن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتَّى يتهيَّأَ لهُ؛ أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام" رواه الطبراني[٥].

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أيضًا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما مِن جُرعَةٍ أعظم أجرًا عند الله من جرعةِ غيظٍ كظمها عبدٌ ابتغاءَ وجْهِ الله" رواه ابن ماجه[٦].

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٨٤).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ١١٧٦).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٤/ ٢٠٦).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ٣٩٨) برقم (١٥٦٣٧). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٤٨) برقم (٤٧٧٧) كتاب الأدب باب من من كظم غيظًا. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٠) برقم (٤١٨٦) كتاب الزهد باب الحلم. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٢٧٧).

(٥) رواه المعجم الأوسط (٦/ ١٤٠) برقم (٦٠٢٦). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٥٧٤).

(٦) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠١) برقم (٤١٨٩) كتاب الزهد باب الحلم. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ١٨٩).



وعن أنسٍ- رضي الله عنه- أنَّه قال: إنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بقومٍ يصطرعون؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: فلانٌ ما يُصارِع أحدًا إلَّا صرعه، قال:" أفلا أدلُّكم على مَن هو أشدُّ منه؟ رجلٌ كلَّمه رجلٌ فكظم غيظه فغلبه، وغلبَ شيطانه، وغلب شيطان صاحِبِهِ" رواه البزَّار بسندٍ حسنٍ(١).

عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد وهو يقول بيده هكذا- فأومأ أبو عبد الرحمن بيده إلى الأرض- :" مَن أنظر مُعسِرًا أو وضَعَ عنه؛ وقاه الله من فيح جهنم، ألا إنَّ عمل الجنة حَزْن بربوةٍ (ثلاثًا)، ألا إنَّ عمل النار سهلٌ بشهوةٍ، والسَّعيد مَن وقي الفتن، وما مِن جرعةٍ أحبُّ إليَّ مِن جرعةِ غيظٍ يكظمها عبدٌ، ما كظمها عبدٌ لله إلَّا ملأ الله جوفه إيمانًا" رواه أحمد(٢).

وكنتُ إذا الصَّديقُ أرادَ غَيْظي	وشرَّقني على ظمأٍ بريقي
غفرتُ ذنوبَه وكَظَمتُ غَيْظي	مخافةً أن أعيشَ بلا صديقِ(٣)

جاء غلامٌ لأبي ذرٍ- رضي الله عنه- وقد كسر رِجْل شاةٍ له، فقالَ له: مَن كَسَرَ رِجْلَ هذه؟ قال: أنا فعلتُهُ عمدًا لأغيظك فتضربني فتأثم. فقال: لأغيظنَّ مَن حرَّضك على غيظي، فأعتقه(٤).

وهذا عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- كلَّمه رجُلٌ يومًا حتَّى أغضبه، فهمَّ به عمر، ثم أمسك نفسه، ثم قال للرَّجُل: أردتَ أن يستفزَّني الشيطانُ بعزَّة السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله منِّي غدًا؟ قُمْ عافاك الله، لا حاجة لنا في مقاولتك(٥).

---

(١) رواه البزار في مسنده = البحر الزخار (١٣/ ٤٧٥) برقم (٧٢٧٢). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٨٦٩).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٤٩) برقم (٣٠١٥). والحديث قال عنه الألباني: "ضعيف جدًّا" كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٤/ ٥٣٣).

(٣) ينظر: الموشى = الظرف والظرفاء (ص: ٢٢) مع اختلاف يسير. الموشى = الظرف والظرفاء، المؤلف: محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب، المعروف بالوشاء (المتوفى: ٣٢٥هـ)، المحقق: كمال مصطفى، الناشر: مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر – مطبعة الاعتماد، الطبعة: الثانية، ١٣٧١ هـ – ١٩٥٣ م.

(٤) ينظر: مختصر منهاج القاصدين (ص: ١٨٣). مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِيْنْ، المؤلف: نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٩هـ)، قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، الناشر: مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، عام النشر: ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م.

(٥) ينظر: البداية والنهاية (١٢/ ٦٩٨).



وكان الخليفة العباسي المأمون له خادمٌ، وهو صاحب وضوئه، فبينما هو يصبُّ الماء على يديه إذ سقط الإناء من يده، فاغتاظ المأمون عليه، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن الله يقول: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ فقال المأمون: قد كظمتُ غيظي عنك، قال: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ قال: قد عفوتُ عنك، قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال: اذهب، فأنتَ حُرٌّ[١].

ولقد عظَّم الله كثيرًا من أجر الكاظمين الغيظ؛ فقال: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢].

والغضب صفة من صفات البشر، وهو ينقسم إلى قسمين: غضب محمود، وآخر مذموم، فأمَّا المحمود فهو أن يغضب لله ولدين الله، وتلك صفَّة سيِّد المرسلين عليه الصَّلاة والسَّلام، فإنَّه كان لا يغضب إلَّا لله، وإذا انتهكت محارم الله، قالت أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-:" مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، لَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عز وجل" رواه مسلم[٣].

وعلى هذا النوع من الغضب المحمود يُحمَل قول الإمام الشافعي- رحمه الله-: مَن استُغضِب فلم يغضبْ فهو حمارٌ[٤].

وأمَّا الغضب المذموم فهو الغضب الذي يُخرِج الإنسانَ عن وزن الأمور بالعدْل، ويُؤدِّي به إلى التَّعدِّي على الحقوق، وظلْم العباد والانتقام للنفس.

قال ابن القيِّم- رحمه الله تعالى-: دخل الناسُ النارَ من ثلاثة أبوابٍ: باب شُبهةٍ أورثتْ شكًّا في دين الله، وباب شهوةٍ أورثتْ تقديم الهوى على طاعته ومرضاته، وباب غضبٍ أورث العداون على خلقه[٥].

---

(١) ينظر: العقد الفريد (٢/ ٦٠).

(٢) آل عمران: ١٣٣، ١٣٤.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٤) برقم (٢٣٢٨) كتاب الفضائل باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٣٩٩) برقم (٨٧٣٤).

(٥) الفوائد لابن القيم (ص: ٥٨).



وعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [١] قال: الصَّبر عند الغَضَب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا عظَّمهم عدوُّهم، وخضع لهم[٢].

وحُكِي أنَّ رجلًا قال لضرار بن القعقاع: واللهِ لو قلتَ واحدةً؛ لسمعتَ عشرًا. فقال له ضرار: واللهِ لو قلتَ عشرًا؛ لم تسمعْ واحدةً[٣].

عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: كنتُ أمشي مع النَّبي صلى الله عليه وسلم وعليه بُردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجذبه جذبةً شديدةً، حتَّى نظرتُ إلى صفحة عاتق النَّبي صلى الله عليه وسلم قد أثَّرت به حاشية الرِّداء من شدَّة جذبته، ثمَّ قال: مُرْ لي من مال الله الذي عندك. فالتفتَ إليه، فضحك، ثمَّ أمر له بعطاء. رواه البخاري ومسلم[٤].

وعن أبي برزة- رضي الله عنه- قال: كنتُ عند أبي بكرٍ- رضي الله عنه-، فتغيَّظ على رجلٍ، فاشتدَّ عليه، فقلتُ: تأذنُ لي يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أضرب عنقه؟ قال: فأذهبتْ كلمتي غضبه، فقام فدخل فأرسل إليَّ، فقال: ما الذي قلتَ آنفًا؟ قلتُ: ائذنْ لي أضربَ عنقه. قال: أكنتَ فاعلًا لو أمرتُك؟ قلتُ: نعم، قال: لا واللهِ، ما كانتْ لبشرٍ بعد محمد صلى الله عليه وسلم[٥].

وقديمًا قيل: ثلاثةٌ مَن اجتمعن فيه فقد سَعِد: مَن إذا غَضِب لم يُخرِجْه غضبُه عن الحقِّ، وإذا رضِي لم يُدخِلْه رضاه في الباطل، وإذا قَدر عفا[٦].

---

(١) المؤمنون: ٩٦

(٢) رواه البخاري تعليقًا في صحيحه (٦/ ١٢٨) بلفظ: «الصبر عند الغضب والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوه عصمهم الله، وخضع لهم عدوهم». وصححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤١٥). مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥.

(٣) ينظر: أدب الدنيا والدين (ص: ٢٥٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٩٤) برقم (٣١٤٩) كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٣٠) برقم (١٠٥٧) كتاب الزكاة باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة.

(٥) رواه أبو داود في سننه (٤/ ١٢٩) برقم (٤٣٦٣) كتاب الحدود باب الحكم فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم. وصححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٩/ ٣٦٣).

(٦) رواه قريبًا من هذا المعنى البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٥٥١) برقم (٧٩٧٦).

وعن عائشة– رضي الله عنها– قالتْ: ما خُيِّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلَّا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلَّا أن تُنتهَك حرمة الله فينتقم لله بها. رواه البخاري ومسلم(١).

الخلاصة: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢).

قال السعدي: ذكَر الله في هذه الآية مراتب العقوبات، وأنَّها على ثلاث مراتب: عدْل، وفضْل، وظلْم. فمرتبة العدْل: جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص، فالنفس بالنفس، وكلُّ جارحةٍ بالجارحة المماثِلة لها، والمال يُضمَن بمثله. ومرتبة الفضْل: العفو والإصلاح عن المسيء، ولهذا قال: {فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ}، يجزيه أجرًا عظيمًا، وثوابًا كثيرًا، وشَرَطَ الله في العفو الإصلاح فيه؛ ليدلَّ ذلك على أنَّه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته؛ فإنَّه في هذه الحال لا يكون مأمورًا به، وفي جعْل أجر العافي على الله ما يُهيِّج على العفو، وأن يُعامِل العبدُ الخلقَ بما يُحبُّ أن يعامله الله به، فكما يُحبُّ أن يعفو الله عنه؛ فَلْيَعْفُ عنهم، وكما يُحبُّ أنْ يسامحه الله فلْيسامحْهم؛ فإنَّ الجزاء من جنس العمل. وأما مرتبة الظُّلْم: فقد ذكرها بقوله: إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ } الذين يجنون على غيرهم ابتداءً، أو يُقابِلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم(٣).

إذا غَضِبتَ فكن وقورًا كاظِمًا ... للغيظِ تُبصرُ ما تَقولُ وتسمعُ
فكفى به شرفًا تَصبُّرُ ساعةٍ ... يَرضى بها عنك الإلهُ وتُرفعُ(٤)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨٩) برقم (٣٥٦٠) كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٣) برقم (٢٣٢٧) كتاب الفضائل باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته.

(٢) الشورى: ٤٠.

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٦٠).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٤/ ٢٠٨).



٣٠ جمادى الأولى

النزاهة

تعريف النزاهة: هي الاستقامة والقيم الأخلاقية التي يتحلَّى بها الفرد، مثل: الصدق والأمانة والشفافية والشرف... الخ.

والتَّنَزُّه: أن يرفع نفسه عن الشَّيء تكرُّمًا، ورغبة عنه[١]. وفلان يتَنَزَّه عن مَلَائم الأخْلَاق، أي: يترفَّع عمَّا يُذَمُّ منها. والنَّزاهةُ البُعْد عن السُّوء.

وهي أيضًا كرَم في الأخلاق التي لا بُدَّ منها، وأن يتَّصف بها الإنسان أيًّا كان سِنُّه، وهي مكافحة الفساد مثل نزاهة الانتخابات وخُلُوّها من التزوير، ومن الأمثلة أيضًا العدْل والمساواة... الخ.

قال المناوي: النَّزَاهَة اكتساب المال من غير مَهَانة ولا ظُلْم، وإنفاقه في المصارف الحميدة[٢].

وقال أبو طالب المكي: ومعنى التَّنَزُّه: التَّباعُد من الدَّناءة والأوساخ[٣].

وقال أبو حيَّان التَّوحيدي: قلتُ لبعض العلماء: العِفَّة والنَّزَاهَة خصلة واحدة. فقال لي: ظلمتَ؛ العِفَّة الإمساك عن المحظور، والنَّزَاهَة الوقوف عن المباح، وفي العِفَّة ذبٌّ عن الدِّين، وفي النَّزَاهَة حفظ للمروءة[٤].

قال ابن عبد البر: تأوَّلوا قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٥] على ما تأوَّله عليه جمهور السَّلف، من أنَّها طهارة القلب، وطهارة الجيب (طهارة الصدر)، ونزاهة النَّفْس عن الدَّنايا والآثام والذُّنوب[٦].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٦/ ٩٢). تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٣٢٣).

(٣) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (٢/ ٤٧٦). قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ –٢٠٠٥ م.

(٤) ينظر: البصائر والذخائر (٥/ ١٢١). البصائر والذخائر، المؤلف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ)، المحقق: د/ وداد القاضي، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

(٥) المدَّثر: ٤.

(٦) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ٤٦٣ (٣/ ٢٠٨). الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ٣٦٨هـ – ٤٦٣هـ، تحقيق: عبدالمعطي امين قلعجي، الناشر: دار قتيبة – دمشق | دار الوعي – حلب، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.



وقال الإمام الرَّازي: أمَّا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١] ففيه وجوه؛ أحدها: المراد منه التَّنْزيه عن الذُّنوب والمعاصي؛ وذلك لأنَّ التَّائب هو الذي فعله ثمَّ تركه، والمتَطهِّر هو الذي ما فعله تَنَزُّهًا عنه، ولا ثالث لهذين القسمين، واللَّفظ مُحْتمِلٌ لذلك؛ لأنَّ الذَّنب نجاسة روحانيَّة، ولذلك قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[٢]، فتركه يكون طهارة روحانيَّة، وبهذا المعنى يُوصَف الله تعالى بأنَّه طاهرٌ مُطَهَّرٌ؛ من حيث كونه مُنَزَّهًا عن العيوب والقبائح[٣].

وعن النُّعمان بن بَشير- رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ، وبينهما مُشَبَّهاتٌ، لا يعلمها كثيرٌ من النَّاس، فمَن اتَّقى المشَبَّهات، استبرأ لدينه وعِرْضه، ومَن وقع في الشُّبهات، كرَاعٍ يرعى حول الحِمَى، يُوشك أن يُوَاقعه، ألَا وإنَّ لكلِّ ملك حِمَى، ألَا إنَّ حِمَى الله في أرضه محارمُه، ألَا وإنَّ في الجسد مُضْغةً، إذا صَلُحَت صَلُحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فَسَدَت فَسَد الجسدُ كلُّه، ألَا وهي القلب" رواه البخاري ومسلم[٤].

قال ابن رجب: مَن اتَّقى الأمور المشْتبَهة عليه التي لا تتبيَّن له: أحلالٌ هي أم حرامٌ؟ فإنَّه مُسْتَبرئٌ لدينه، بمعنى: أنَّه طالبٌ له البَرَاء والنَّزَاهَة مما يُدَنِّسه ويُشِينه[٥].

عن صفيَّة زوج النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّها جاءتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تزوره في اعتكافه في المسجد، في العشر الأواخر من رمضان، فتحدَّثتْ عنده ساعة، ثمَّ قامتْ تَنْقلب، فقام النَّبي صلى الله عليه وسلم معها يَقْلِبها، حتَّى إذا بلغتْ باب المسجد- عند باب أمِّ سَلَمة- مرَّ رجلانِ من الأنصار، فسلَّما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهما النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: على رِسْلِكما، إنَّما هي صفيَّة بنت حُيي. فقالا: سبحان الله يا رسول الله؛ وكَبُر عليهما. فقال

---

(١) البقرة: ٢٢٢.

(٢) التَّوبة: ٢٨.

(٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٦/ ٤٢٠). مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٠) برقم (٥٢) كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢١٩) برقم (١٥٩٩) كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

(٥) فتح الباري لابن رجب (١/ ٢٢٩). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.



النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: إنَّ الشَّيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدَّم، وإنِّي خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شيئًا. رواه البخاري ومسلم(١).

عن حكيم بن حزام- رضي الله عنه- قال: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني، ثم سألتُه فأعطاني، ثم سألتُه فأعطاني، ثم قال: يا حكيم، إنَّ هذا المال خَضِرة حُلْوة، فمن أخذه بسخاوة نفسٍ، بورك له فيه، ومَن أخذه بإشْراف نفسٍ، لم يُبَارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى. رواه البخاري ومسلم(٢).

قيل للحسن بن عليٍّ- رضي الله عنهما-: ما حفظتَ من رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم؟ قال: حفظتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم:" دَعْ ما يُرِيبُك إلى ما لا يُرِيبُك" رواه أحمد والترمذي(٣).

فالنَّزَاهَة أن نصون النَّفس عن مواقف الرِّيبة، ونتنزَّه عن مساوئ الأخلاق، ونترفَّع عمَّا يُذَمُّ منها.

قال عمر بن عبد العزيز- رحمه الله-: إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كَمُل: علمٌ بما كان قَبله، ونَزَاهةٌ عن الطَّمع، وحِلْمٌ عن الخَصْم، واقتداءٌ بالأئمة، ومُشَاورة أهل العلم والرأي(٤).

وقال أبو يزيد الفيض: سألتُ موسى بن أَعْيَنَ عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٥)، قال: تنزَّهُوا عن أشياءٍ من الحلال؛ مخافةً أن يقعوا في الحرام، فسمَّاهم مُتَّقين(٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٩) برقم (٢٠٣٥) كتاب الاعتكاف باب: هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧١٢) برقم (٢١٧٥) كتاب السلام باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٣) برقم (٦٤٤١) كتاب الرقاق باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا المال خضرة حلوة». ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٧) (١٠٣٥) كتاب الزكاة باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٢٤٨) برقم (١٧٢٣). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٦٨) برقم (٢٥١٨) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلمباب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ١٨).

(٤) العقد الفريد (١/ ٧٨).

(٥) المائدة: ٢٧.

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في الورع (ص: ٥٩) برقم (٥٢). الورع، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود، الناشر: الدار السلفية – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨.



قال الشَّاعر:

نزَّهتُ لفظي عن فُحْشٍ وقلتُ: هُم عَرَبٌ وفي حيِّهم يا غربة الذِّمم[١]

وقد قَسَّم الماوردي النَّزَاهَة إلى قسمين، فقال: النَّزاهة نوعان؛ أحدهما: النَّزاهة عن المطامع الدَّنيَّة، والثَّاني: النَّزاهة عن مواقف الرِّيبة[٢].

قال الشَّاعر:

أُنزِه نَفسِي عَن أَذَى القَوْل والخَنَا وإِنِّي إِلى الإسلامِ والسِّلمِ أجنحُ عنِ
وعقلي وديني والحياءُ يَرُدُّنِي الجَهْلِ لكنِّي عن الذَّنبِ أصفحُ
فشتَّانَ مَا بيني وبَيْنك في الهَوى وكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضحُ[٣]

ومن جرَّاء فقدان قيم النزاهة؛ انتُهكتْ مظالم كثيرة، وضُيِّعتْ حقوق وواجبات، وفُقدتْ ثروات، وهُدِّمتْ أسرٌ وبيوتٌ، وأُهدرتْ كفاءات، وضُيِّعتْ طاقات، وكلُّ هذا يُشيرُ إلى شعوبٍ تنهشها اللاأخلاقية التي خلَّفها فقدانُ هذه القيم. وتجدر الإشارة إلى أنَّ قيم النزاهة لا تكمن فيما هو ماديٌّ فقط، لأنَّها في إطارها العام تكون الدافع إلى النفور من كلِّ ما يجذب النفس للطمع فيما ليس لها، وهي التي تمنع المرء من التجرُّؤ على انتهاك حقوق الآخرين الماديَّة والمعنويَّة.

والنزاهة هي قيم أخلاقية يتمُّ اتباعها في جميع الأوقات وجميع المواقف؛ مثل: الصدق والثقة. وهما عاملان أساسيان في النزاهة.

وعندما تكون شخصًا يتَّسم ويتميَّز باكتساب قيم وقدرات النزاهة؛ فإنَّ ذلك يعني أنَّك شخصٌ واعٍ وقادرٌ على فهْم ذاتك ونفسك الداخلية، وقادرٌ أيضًا على التحكُّم فيها، فإنَّ هذا يعني أنَّك شخصٌ ذو ثقةٍ عاليةٍ بنفسك، قادرٌ على التعامُل والتكيُّف مع الأشخاص الآخرين؛ بمختلف طرق تفكيرهم وبمختلف مراحلهم العُمريَّة.

---

(١) ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (١/ ١٧٤). خزانة الأدب وغاية الأرب، المؤلف: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ)، المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م.

(٢) ينظر: أدب الدنيا والدين (ص: ٣٢٦).

(٣) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤/ ٣١٠). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.



والخلاصة: النزاهة سلوكٌ أخلاقيٌّ رفيعٌ لا تستقيم الحياة إلَّا به، وهي خُلقٌ مُتمِّمٌ لصفات المسلم، وسلوكياته الإيجابية، كما أنَّ النزاهة تعني الزُّهد في المال العام، بل الحفاظ عليه، والحرص على حمايته، وما أحوجنا إلى سيادة مثل هذه المفاهيم، التي تعني الرقابة على الذات، وهي أفضل من رقابة الجهات الرسمية، أو رقابة الأنظمة واللوائح.

وفي ترسيخ مثل هذه القيم والالتزام بها؛ إسهامٌ فعليٌّ في التنمية والبناء والاستقرار، وكذلك الأمن الاقتصادي، وقبل كل شيء سلامةٌ للمجتمع، وتجسيدٌ لمبادئه الإسلامية، وتكريسٌ للثقة بين أفراده، وحفظٌ لحقوق الأجيال القادمة.



المؤلف

الأستاذ الدكتور / خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

هو بروفيسور في طب الأسرة والتعليم الطبي، وكان العميد المؤسِّس لكلية الطب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والمشرف على الخدمات الطبية سابقًا. ويرأس حاليًا مجلس إدارة جمعية التطوُّع الصحية – أثر. وقد كان وكيلًا لجامعة الإمام للتخطيط والتطوير والجودة، ومستشارًا غير متفرغ لمعالي وزير التعليم السابق. وكان رئيسًا للجنة عمداء الطب بالجامعات السعودية. وله اهتمام كبير في العمل الصحي التطوُّعي؛ حيث تم تكريمه من معالي وزير الصحة بمناسبة اليوم العالمي للتطوُّع الموافق للخامس من شهر ديسمبر ٢٠١٧ م. وهو أستاذ كرسي الدكتور الخولي لتطوير التعليم الطبي بالمملكة العربية السعودية. ورئيس تحرير ملحق مجلة المعلم الطبي الدولية. ورئيس تحرير مجلة جامعة الإمام للعلوم التطبيقية. ومؤسِّس الجمعية السعودية للدراسات الطبية الفقهية. وعضو المجلس الصحي السعودي سابقًا. وعضو مؤسِّس للجائزة الدولية للتميز في التعليم الطبي ومقرها بريطانيا. وقد شارك كمتحدِّث رئيس في أكثر من ٣٠٠ مؤتمر عالمي في مجال التعليم الطبي وطب الأسرة، ولديه أكثر من سبعين بحثًا محكمًا ومنشورًا في دوريات عالمية ومحلية. وهو المحرر الرئيس لكتاب روتليدج الدولي للتعليم الطبي – "The Routledge International Handbook of Medical Education" – ٢٠١٦ الناشر: روتليدج الدولية للكتب، التابعة لمجموعة تيلور وفرانسيس – Taylor & Francis Group – العالمية المعروفة. وقد حصل البروفيسور آل عبد الرحمن على العديد من الجوائز وشهادات التقدير المحلية والعالمية، من آخرها جائزة التميُّز في التحرير من الجمعية الأوربية الدولية للتعليم الطبي في شهر سبتمبر ٢٠١٤م في المؤتمر الدولي للتعليم الطبي AMEE ٢٠١٤ الذي عُقِد في مدينة ميلانو الإيطالية.



